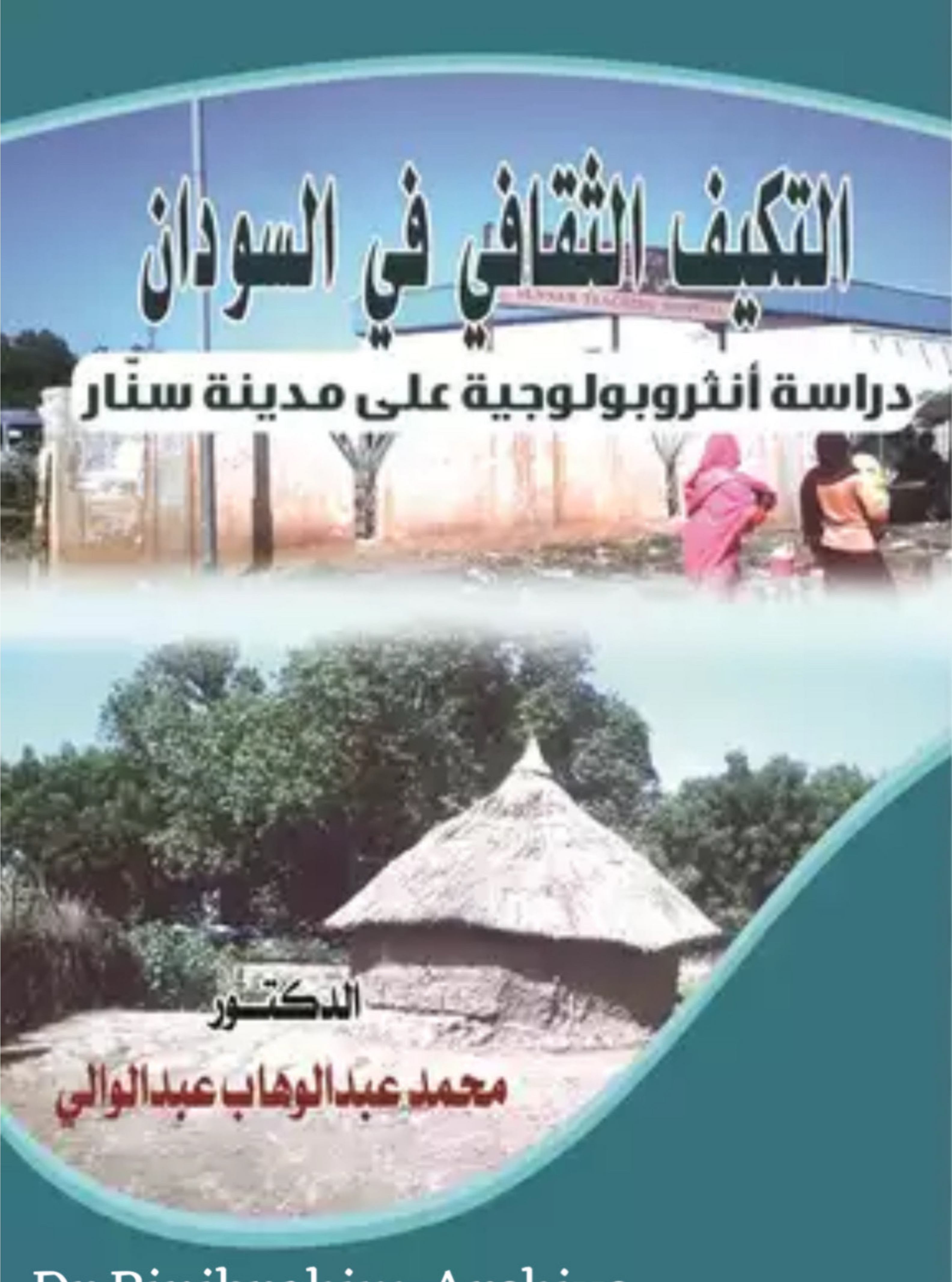

التكيف الثقافي في السودان
دراسة أنثروبولوجية على مدينة سنّار
الدكتور
محمد عبدالوهاب عبدالوالي

التكيف الثقافي في السودان

دراسة أنثروبولوجية علي مدينة سنّار

تأليف

الدكتور محمد عبدالوهاب عبدالوالي

الناشر

أسرار الإسبوع

التكيف الثقافي في السودان

دراسة أنثروبولوجية علي مدينة سنّار

تأليف

الدكتور محمد عبدالوهاب عبدالوالي

الطبعة الأولي ٢٠١٦م

رقم الإيداع : ٢٠١٦/٢٥٣٤٩

الناشر

أسرار الإسبوع

١٣ ش القومية – الزقازيق – الشرقية – جمهورية مصر العربية

٠٥٥٢٣٧٩٦٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

فهرس الخرائط والصور

المقدمة

يدخل هذا الكتاب فى إطار الدراسات الإنسانية وتحديداً في أحد فروع الأنثروبولوجيا وهو الأنثروبولوجيا الثقافية، من خلال دراسة إحدي المدن السوادنية وهي مدينة سنّار. والتي تعد سوداناً مصغراً بما تحتويه من جماعات إثنية متعدده ذات ثقافات متنوعة .

ويشير التكيف الثقافى إلى الظواهر الناتجة عن التقاء الجماعات ذات الثقافات المتباينة ، والتى تدخل فى اتصال مباشر مستمر، وما يترتب على ذلك من تغيرات فى الأنماط الثقافية السائدة لإحدى أو كل هذه الجماعات.

ومما لا شك فيه أن الاتصال ضرورى لحدوث التكيف، بل يعد فى نظر العلماء المعاصرين هو الوسيلة الفعالة للتغير الثقافى، فلا يمكن لأى مجتمع أن يستعير من غيره أى سمات ثقافية لو كان يعيش فى عزلة عن غيره من المجتمعات الأخرى.

والتكيف الثقافى فى القارة الإفريقية عامة والسودان خاصة هو الغاية المنشودة لكل هذه الجماعات الإثنية التى تعيش معاً.

ومما لا شك فيه أن دراسة هذه الجماعات التى تعيش جنباً إلى جنب على الرغم من اختلاف ثقافاتها وتباينها يمكن أن يفيد إلى حد كبير إذا ما أريد معرفة طبيعة ونوعية العلاقات السائدة بينها. هل يغلب عليها طابع التعاون أم الصراع ؟ وإلى أى حد حققت هذه الجماعات فيما بينها نوعاً من التكيف الثقافى ؟ مما يلقى الضوء على طبيعة ونوعية المشكلات التى تعانى منها هذه المجتمعات.

وترجع أسباب إختيار هذه الدراسة، إلى أن غالبية العلماء والمتخصصين فى الدراسات الإفريقية يؤكدون على أن التمايز الثقافى فيما بين الجماعات المتجاورة فى إفريقيا، يعد السبب الرئيسى والأساسى فى نشوب الصراعات والخلافات والانقسامات والحروب التى تعانى منها القارة الإفريقية. وكأن هذا التمايز الثقافي النابع من التعدد الإثني لا يلعب دوراً سوى التشرذم والفرقة ... إلخ. فى حين أن التمايز الثقافي قد يكون أداة فعالة وأساسية فى النهوض والتنمية المنشودة لهذه البلدان، إذا ما أحكم توجيهه وسعت تلك الدول لخلق روابط اجتماعية وثقافية بين تلك الجماعات المتمايزة ثقافياً بحيث يلعب التكيف الثقافى الدور الرئيسى فيها لخلق كيان واحد متماسك ومتكامل.

الفصل الأول

مفهوم التكيف الثقافى – Cultural Adaptation

لقد حاز موضوع التكيف اهتمام العديد من الباحثين فى مختلف العلوم: البيولوجية والإنسانية على السواء، مما ترتب عليه ظهور العديد من الدراسات، انبثق منها الكثير من المصطلحات والمفاهيم مثل مفهوم التكيف البيولوجى، والتكيف النفسى، والتكيف الايكولوجى، والتكيف الثقافى ... إلخ والتى يلاحظ عليها أنها جميعاً تتصهر فى بوتقة واحدة، وهى مفهوم التكيف – adaptation .

وعلى ذلك يصبح من الصعوبة التعريف المباشر لمفهوم التكيف الثقافى دون توضيح لمفهوم التكيف فى ذاته، وفى ارتباطه بالمفاهيم الأخرى مثل: التكيف البيولوجى، والإيكولوجى، والنفسى، لكى يتثنى بعد ذلك الخوض فى مفهوم التكيف الثقافى.

ففى اللغة العربية نجد أن مفهوم التكيف فى المعجم الوسيط[١] يرجع فى أصله إلى "كيَّف" وكيَّف الشئ أى جعل له كيفية معلومة،وتكيَّف الشئ أى صار على كيفية من الكيفيات ، ويقال تكيَّف الهواء أى تغيرت درجة حرارته لتلائم الجو الخارجى، أى انخفضت فى الصيف وارتفعت فى الشتاء.

وفى اللغة الإنجليزية نجد أن كلمة "تكيف هى adaptation" وهى اسم لفعل هو كيَّف – adapt" والذى يشير إلى تناسب to fit أو توافق شخصى أو شئ مع الآخر، لتحقيق هدف ما هو الموائمة make suitable مع هذا الآخر.

وفى هذا السياق يعَّرف التكيف فى قاموس أوكسفورد بأنه:

(١) العملية التى تحدث لكى تجعل الواحد "شخص أو شئ ما" مناسباً أو ملائماً مع الآخر.

(٢) هو عملية التعديل modifying التى يحدثها الشخص أو تحدث لشئ ما لكى يتلاءم مع الظروف القائمة[٢].

ومن ثم نجد ثمة اتفاق فى سياق التعريف اللغوى لمفهوم التكيف فى كلاً من اللغتين العربية والانجليزية فى أن عملية التكيف ما هى إلا عملية تعديل وتغير فى السلوك أو الحال أو الكيفية لكى تتلائم مع ظروف وأحوال أخرى.

ويلاحظ إذا ما تتبعنا سبر أغوار مفهوم التكيف نجد أنه يضرب بجذوره الأولى فى العلوم البيولوجية، لدرجة أن البعض يؤكد على أنه مفهوم بيولوجى فى المقام الأول، وتم استعارته بعد ذلك فى العلوم الأخرى.

ولقد تزايد استخدام هذا المفهوم فى بادئ الأمر فى النظريات البيولوجية Biological Theories المرتبطة بالتطور والارتقاء على وجه الخصوص، ليشير إلى التغيرات الفسيولوجية أو السلوكية التى قد تزيد من فرص البقاء Survival فى البيئة المحيطة الأخرى[٣].

ويشير مصطفى فهمى[٤] إلى أن مفهوم التكيف مستمد أساساً من علم البيولوجيا، وذلك على نحو ما حددته نظرية "دارون" المعروفة بنظرية النشوء والارتقاء حيث يشير هذا المفهوم إلى أن الكائن الحى يحاول أن يوائم بين نفسه والعالم الطبيعى الذى يعيش فيه، محاولة منه من أجل البقاء.

ويوضح **شارلوت سيمور – سميث**[٥] مفهوم التكيف بأنه مفهوم يستخدم داخل النظريات البيولوجية الخاصة بالتطور الوراثى للإشارة إلى التغيرات الفسيولوجية أو السلوكية التى تنتج عن الفرص المتزايدة للبقاء داخل بيئة بعينها.

ويضيف " **سميث** " بأن لهذا المفهوم فى علم البيولوجيا معنيين متمايزين هما :

- الاستجابات الفردية التى تهدف إلى المحافظة على التوازن البدنى.
- التكيف التطورى بمعنى التغير عبر الأجيال فى اتجاه رفع مستوى اللياقة أو الصلاحية للبقاء.

ولقد عُرِّف التطور البيولوجى فى بعض الأحيان بأنه عملية الحفاظ على تكيف الكائنات الحية مع بيئاتها أو فقدانه أو استعادته أو تحسينه، ويتم ذلك من خلال بعض الضغوط الانتخابية التى تدعم أو تضعف جينات معينة أو مجموعات معينة منها، ويهيئ الوعاء الوراثى "والمقصود به العدد الكلى للجينات الموجودة عند جماعة سكانية معينة" المواد الخام التى يعتمد عليها الانتخاب الطبيعى فى تعديله عن طريق واحد من الطرق التالية:

١- الطفرة التى تخلق جينات جديدة، أو ارتباطات جديدة بين الجينات.

٢- زيادة الجينات، حيث تكتسب جينات جديدة عن طريق التزاوج مع أفراد أو جماعات سكانية أخرى.

٣- حذف بعض الجينات من خلال الضغوط الانتخابية غير المواتية.

٤- فقدان الجينات "ويحدث فى الجماعات الصغيرة أساساً" حيث تفقد بعض الجينات من خلال المصادفات التى تحدث فى عملية التكاثر [٦] .

ولقد توصلت معظم الدراسات السكانية المهتمة بهذا الموضوع إلى أنه لا يوجد قواعد أو أشكال جينية Forms للتكيف الجينى Non-genetic Genetic adaptation لكنه يعتمد فى الأساس على التغيرات التى تحدث فى الجينات والتى يترتب عليها ظهور جينات جديدة ذات خصائص أفضل مع البيئة الخاصة بهؤلاء

السكان. ويحدث هذا التكيف "الجينى" نتيجة الظروف البيئية كنوع من التوافق الإنسانى لهذه البيئية [٧].

ووفقاً لذلك يمكن تعريف التكيف فى علم الحياة بأنه "هو تغير فى الكائن الحى سواء أكان فى البناء أم فى الوظيفة يجعله أكثر قدرة على المحافظة على حياته أو على أبناء جنسه" [٨].

أما "**التكيف الإيكولوجى**" فيعد نمط من أنماط التكيف، يهتم فى الأساس بتكيف الإنسان مع بيئته التى يعيش فيها، والتى يقصد بها كل ما يحيط بالفرد من أشياء مادية وطبيعية وكل ما يلزمه ويحتاج إليه من مواد وأدوات تساعده على الحياة والكفاح فى سبيل الاستمرار والبقاء [٩].

فالإيكولوجيا تعرف فى أبسط معانيها بأنها دراسة العلاقة بين الطبيعية والإنسان [١٠].

ومن المعروف أن البيئة تختلف من مكان الآخر، فالبيئة فى القطب الشمالى تختلف عن بيئة مناطق المرتفعات وعن المناطق الجافة، والتى تعانى من ندرة المياه، وهى الأخرى تختلف عن مناطق العشب وعن البيئة الإستوائية الرطبة، ولكل من هذه البيئات السابقة ظروفه ومشكلاته الخاصة به، فالمناطق المرتفعة تعانى من قلة نسبة الأكسجين، والمناطق القطبية تعانى من قلة درجة الحرارة ... إلخ.

وعلى الإنسان الذى يقطن هذه البيئة أو تلك أن يتوافق مع ظروفها، وهو ما يسمى بالتكيف الإيكولوجى [١١].

ويكون التكيف فى هذا النمط ما هو إلا نتيجة للعوامل الفيزيقية والكيماوية للبيئة وكنتيجة لتفاعلات هذه العوامل مع بعضها البعض ونتيجة تفاعل الأفراد مع هذه العوامل (١٢) .

ويكاد يتفق فى هذا معظم التعريفات التى تناولت مفهوم التكيف على المستوى البيولوجى أو الإيكولوجى ولعل هذا واضح في تعريف التكيف فى كلاً من قاموس الصحة العامة Dictionary of Public Health وقاموس السلوك الحيوانى Dictionary of Animal Behavior وموسوعة التطور Encyclopedia of Evolution وكذلك فى قاموس العلوم الاجتماعية Dictionary of the social sciences والتى يعَّرف التكيف فيها بأنه ذلك التوافق الجينى والفيزيقى والتغيرات الثقافية التى من خلالها يستجيب الأفراد والمجتمعات للبيئات التى يعيشون فيها ليستطيعوا العيش والبقاء (١٣) .

وعلى ذلك فالتكيف كما بات واضحاً كلمة تحتوى فى مضمونها على معانى عدة كالتآلف والتقارب، وعلى النقيض من التنافر والتصادم.

أما "**التكيف فى علم النفس**" فلا يختلف كثيراً عما سبق فهو تلك العملية الديناميكية المستمرة التى يهدف بها الشخص إلى تغيير سلوكه، ليحدث علاقة أكثر توافقاً بينه وبين بيئته (١٤) .

وتختلف البيئة من علم لآخر، فإذا كان المهتمون بالتكيف الإيكولوجى ينصب اهتمامهم على البيئة الطبيعية، وإذا كان علماء الأنثروبولوجيا مهتمين بالبيئة الاجتماعية والثقافية، فإن علم النفس مهتم بالبيئة النفسية للفرد.

ويقصد بالبيئة النفسية للفرد هنا النفس البشرية، وكيف يستطيع الفرد أن يسوسها ويسيطر عليها، ويتحكم فى مطالبها، وهنا يلعب مفهوم الذات دوراً جوهرياً فى عملية التكليف النفسى. لأن فكرة الفرد عن نفسه هى النواة الرئيسية التى تقوم عليها شخصيته وهى العامل الأساسى فى تكيفه [١٥].

ويلجأ الفرد إلى التكيف النفسى إذا ما اختل توازنه النفسى، إما لعدم إشباع حاجاته، أو لعدم تحقيق أهدافه، بقصد إعادة هذا التوازن وتتم عملية التكليف النفسى وفق الخطوات التالية:-

١- وجود دافع أو حاجة تدفع الإنسان إلى هدف معين.

٢- وجود عائق أو محبط يمنع الوصول إلى تحقيق هذا الهدف.

٣- القيام بمحاولات للتغلب على هذا العائق.

وتسفر هذه المحاولات إما إلى تحقيق هدفه وبالتالى يسترد توزانه. ومن ثم يكون قد قام بعملية تكيف نفسى لذاته، أو الفشل فى تحقيق أهدافه ويستمر فى توتره واختلال توازنه النفسى، والتى قد يحاول الفرد التغلب عليها بطرق عدة مثل أحلام اليقظة أو الخيال أو تعاطى الخمر ... إلخ [١٦].

وفى هذا الصدد يحدد علماء النفس مجموعة من الخصائص ترتبط بعملية التكيف تتمثل فى :

١- تتم عملية التكيف بإرادة الفرد ورغبته، عدا التكيف البيولوجى الذى يتم بطريقة آلية دون إرادة الكائن الحى.

٢-قد يغير الفرد من نفسه فى عملية التكيف، وذلك بتعديل سلوكياته أو أهدافه أو تعديلهما معاً ، بغرض إنجاح عملية التكيف.

٣- تزداد عملية التكيف وضوحاً كلما كانت العوائق أو العقبات شديدة أو جديدة، أما إذا كانت العوائق بسيطة أو مألوفة كانت عملية التكيف غير ظاهرة.

٤- تتأثر عملية التكيف بالعوامل الوراثية، فالفرد المصاب بنقص عقلى أو زيادة فى انفعالاته نتيجة عوامل وراثية، سيؤثر ذلك بالطبع على عدم قدرته على التكيف.

٥- التكيف عملية مستمرة ما بقيت الحياة من المهد إلى اللحد ذلك لأن التكيف يهدف أساساً لإشباع دوافع الفرد الحيوية اللازمة للحفاظ على حياته ونوعه.

٦- أى سلوك يشبع حاجة لدى الفرد، أو يخفض من توتره هو سلوك تكيفى (١٧).

وترتيباً على ما سبق يمكن القول بأن مضمون مفهوم التكيف ينطوى على مدلولات متقاربة لحد كبير مع بعضها البعض وتختلف فقط فى الإطار الذى يستخدم المفهوم بداخله، عماً إذا كان إطاراً بيولوجياً، إيكولوجياً، سيكولوجياً أم ثقافياً.

وبالتالى وفى سياق تحديد **مفهوم التكيف الثقافى** لابد من تحديد الإطار الذى يتضمنه هذا المفهوم وهو "**الثقافة**" والتى تعد من الموضوعات الحيوية الهامة فى الدراسات الأنثروبولوجية، وذلك لأنها عماد الحياة الإنسانية وهى المحيط الذى يخلقه المجتمع ويعيش معه ومن خلاله يؤمن احتياجاته الإنسانية المادية والمعنوية.

ولقد اعتبر العلماء الثقافة نوعاً من الظواهر، تتكون من تقاليد وعناصر منمطة ومتداخلة مع بعضها البعض، وأنها انتقلت عبر الزمان والمكان من خلال آليات غير بيولوجية تعتمد على القدرة على استخدام الرموز اللغوية وغير اللغوية المتطورة التى ينفرد بها الإنسان.

ولذا تتميز الثقافة داخل أى مجتمع بقدرتها على الإنتقال من جيل لآخر بقدر كبير من التماثل والتشابة فى مكوناتها المتعددة (١٨)

وكلمة ثقافة culture تأتى فى الأصل من الكلمة الاتينية colere والتى تعنى تثقّف to cultivate (١٩)

والثقافة هى كل ما ليس بيولوجياً ولكنه منقول اجتماعياً فى المجتمع [٢٠].

ويعد التعريف الكلاسيكى للثقافة هو ذلك المأخوذ من "**تايلور – Tylor**" الذى يعتبره الكثيرون مؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية الحديثة، ويقول **تايلور** : إن الثقافة هى ذلك الكل المركب الذى يتضمن المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأى قدرات أو عادات يكتسبها الإنسان كعضو فى المجتمع [٢١].

وإذا أخذنا بهذا المدلول للثقافة يمكن القول بأنها فى مجملها تركيب عام لتراكيب جزئية يمكن حصرها فى مكونات ثلاثة متداخلة هى:-

١- القيم والرموز والأخلاق والسجايا والمعتقدات والمفاهيم والأمثال والمعايير والتقاليد والأعراف والعادات والوسائل والمهارات التى يستعملها الإنسان فى تعامله مع بيئته.

٢- الإبداعات التعبيرية الفنية من آداب و موسيقى ورسم ورقص وغيرها.

٣- الفكر من علوم وفلسفة ومذاهب وعقائد ونظريات.

وفى ضوء الربط بين هذه المكونات تصبح الثقافة فى المجتمع هى نظرته فى السلوك أكثر من كونها نظرية فى المعرفة [٢٢].

وعلى ذلك يمكن اعتبار الثقافة الأداة التى يستطيع الإنسان من خلالها أن يتكيف بسرعة مع التغيرات التى تطرأ على البيئة أو أن تزيد من قدرته على استخدام البيئة القائمة. فلكل مجتمع ثقافته الخاصة التى تمثل إحدى صور التكيف، أو أسلوباً معيناً للحياة يتيح له البقاء فى البيئة التى يوجد فيها ذلك المجتمع [٢٣].

لذلك يستخدم بعض علماء الأنثروبولوجيا الثقافية مصطلح التكيف ليشير إلى العملية التى تحاول فيها ثقافة ما أو مجتمع أو جماعة الحفاظ على ذاتها [٢٤].

غير أنه من الملاحظ على الكثير من الدراسات الأنثروبولوجية التى تعرضت لهـذا المفهـوم بشـكل أو بـآخر رادفـت بينـه وبـين مفهـوم آخـر وهـو التثـاقف acculturation وأعتبـرت الترجمـة العربيـة لمصـطلح acculturation الموجـود باللغة الإنجليزية بأنه يعنى التكيف الثقافى.

وهذا واضـح فـى كتـاب فـاروق مصـطفى إسـماعيل فـى كتابـه عـن الجماعـات العرقية. دراسة فى التكيف والتمثيل الثقافى. والذى يشير فيه إلى أن التكيف الثقافى هو تلك الظـواهر التـى تنـتج عن الاتصـال المباشـر والمستمر لثقـافتين، ومـا يترتـب عليه من تغيرات لاحقة فى أنماط الثقافة الأصلية لإحدى هاتين الجماعتين (٢٥) .

وفـى موسـوعة علـم الإنسـان (٢٦) تـم اسـتخدام مصـطلح تكيـف ثقـافى بمعنـى تثقيـف acculturation وتشـير الموسـوعة إلـى أن اسـتخدام هـذا المصـطلح تـم منـذ القرن التاسع عشر لوصف عمليات التلاؤم والتغير الذى يحدث من خلال الاتصال الثقـافى. ولكـن خـلال الثلاثينـات انتشـر اسـتخدامه بـين الأنثروبولـوجيين الأمـريكيين المهتمـين بدراسـة التغيـر الثقـافى والاجتمـاعى ومشـكلات الاضـطراب الاجتمـاعى والانهيار الثقافى. وعرف أولئك الأنثروبولوجيون التكيف الثقافى بأنـه "تلك الظـواهر التى تنتج عندما يحدث اتصال ثقافى مباشر بين جماعات ثقافية مختلفة. وما يترتب على ذلك من تغيرات فى الأنماط الثقافية الأصلية لهذه الجماعات.

ويرى الباحث أن مفهوم التكيف الثقافى مفهوم أكبر وأوسع من مجرد قصره على عملية التثاقف أو التثقيف acculturation والتى تعد- الأخيرة – مجرد ظاهرة من ظواهر التكيف الثقافى وليس من مرادفاتها لأن التكيف الثقافى عملية ديناميكية مستمرة غير قاصرة على زمان أو مكـان بعينـه، وغيـر قاصـرة علـى جماعـة دون أخرى.

ومن جانب آخر لا يمكن أن نتوقع حدوث تكيف ثقافى داخل جماعة إجتماعية معينة فى حين التقائها بجماعة إجتماعية أخرى فقط، لكن هناك تبادل لنماذج وأنماط ثقافية فيما بينهم. ولعل هذا واضح فى حال الكوارث والنكبات والحروب والمجاعات. فالجماعة الاجتماعية قد لا تتعرض لنموذج ثقافى مغاير لها لكى تحدث عملية تكيف.لأنها فى هذه الحالة – الكوارث والنكبات ... إلخ – من الضرورى لها أن تحدث عملية تغيير وتعديل فى كل أو بعض أنماطها الثقافية لكى تستطيع أن تواجه وتتكيف مع المتغيرات الجديدة.

وترتيباً على مع سبق يمكن تحديد التعريف الإجرائي للتكيف الثقافى بأنه"" تلك العملية الديناميكية الواعية داخل جماعة اجتماعية ما . بغرض إفراز أو تعديل أنماط ونماذج ثقافية تكون قادرة على مواجهة ما طرأ عليها من تغيرات.""

ومن الجدير بالذكر أن هذه التغيرات تختلف من جماعة لأخرى، فقد تكون نتيجة لالتقائها بجماعات اجتماعية ذات ثقافة مغايرة وقد تكون نتيجة تعرضها لكوارث ونكبات أو لنزوحها لأماكن جديدة سعياً وراء الرزق أو هروباً من الحروب أو المجاعات .... إلخ.

الـهوامش

(١) المعجم الوسط ، مجمع اللغة العربية ، الجزء الثاني ، ط ٣ ، ١٩٨٥م ، ص ٦١٧

(2) J.A. Simpsan & E.S.C. Weiner: The Oxford English Dictionary, Vol. I, Second Edition, Clarendon Press, Oxford, 1989, P. 139.

(3) Charlotte Seymour. Smith: Dictionary of Anthropology, G.K. Hall. Co, Boston, 1986, P. 3.

(٤) مصطفى فهمى: التكيف النفسي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٩

(٥) شـارلوت سـيمور – سـميث: موسـوعة علـم الإنسـان " المفـاهيم والمصـطلحات الأنثروبولوجية ""ترجمة" مجموعة من الأساتذة وإشراف محمد الجوهرى، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ١٩٩٨، ص ٢٨٥

(٦) محمـد الجـوهرى: الأنثروبولوجيـا. أسـس نظريـة وتطبيقـات عمليـة، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص ص ٨٤ – ٨٥

(7) Emilio F.Moran: Human Adaptation, an introduction to ecological anthropology, West view Press, Colorado, 1982, P. 4.

(٨) أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ،بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ٨

(٩) مصطفى فهمى ، مرجع سابق، ص ١١

(١٠) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى. مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثانى "الإنساق"، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، ١٩٦٧ ، ص ١٠

(11) Emilio F. Moran , OP.Cit., P. 6.

(12) Ibid, P. 7.

(13) www.Oxford reference.com.lib.aucegypt.edu.

(١٤) مصطفى فهمى ، مرجع سابق، ص ١١

(١٥) نفس المرجع، ص ١٣

(١٦) محمد السيد الهابط: التكيف والصحة النفسية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٣، ص ص ٢٥ – ٢٦

(١٧) نفس المرجع، ص ص ٢٧ – ٢٨

(18) Marvin Harris : Cultural anthropology , Second Edition, Harper & Row publishers , New York ,1987, P. 6

(19) Anjan Srivastava : Social anthropology , Dominant publishers and distributors , New Delhi , 2008 , P. 51

(٢٠) سعاد على شعبان: الأنثروبولوجيا الثقافة لأفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٥

(٢١) نفس المرجع، ص ص ٢٦ – ٢٧

(٢٢) عبد الغفار محمد أحمد: مدلول الثقافة وحوار الثقافات فى السودان، ورقة مقدمة لسمنار الهوية الثقافية والسياسات الثقافية فى السودان فى الفترة من ٢٠ – ٢٢ أغسطس ١٩٩١، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٩١، ص ٢

(٢٣) محمد الجوهرى ، مرجع سابق، ص ص ٨٤ – ٨٥

(24) William Irons: Adaptation "in" Encyclopedia of Cultural Anthropology, Vol. I , 1996, , P. 3.

(٢٥) فاروق مصطفى إسماعيل: الجماعات العرقية. دراسة فى التكيف والتمثيل الثقافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ص ص ٢٧٦ – ٢٧٧

(٢٦) شالوت سيمور – سميث : موسوعة علم الإنسان " المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية " مرجع سابق ، ص ٢٨٥

الفصل الثاني
مدينة سنّار السودانية

السودان الذى يعد من أكبر الدول فى أفريقيا والشرق الأوسط فى التعدد الإثنى [١] وهى مدينة "سنّار" تلك المدينة التى يفوح عبق التاريخ من أراضيها، وهى إحدى المدن الشهيرة على النيل الأزرق حيث ظلت عاصمة دولة الفونج الإسلامية فى السودان من بدايات القرن السادس عشر الميلادى وحتى نهاية القرن الثامن عشر تقريباً.

واسم "**سنّار**" من الأسماء الشهيرة والقديمة فى السودان، وكان للعلماء اجتهادات كثيرة فى تخريجه، ومن أهم هذه الاجتهادات. اجتهاد يقول : إن كلمة سنّار كلمة مركبة من كلمتين نوبيتين هما: "إس" والتى تعنى "ماء" وكلمة "أرتى" بمعنى "جزيرة" والنون التى بين الكلمتين للإضافة فهى إسينّارتى" أى جزيرة الماء.

ومن كلمة سنّار ظهرت مفردات أخرى مثل "سنّارى" وهو اسم علم ولقب اشتهر به آل السنّارى، وسنّارية وهم أتباع مملكة سنّار أيام الفونج ورواق السنّارية بالأزهر الشريف، والأوقاف السنّارية بالحجاز [٢].

ويعد هذا الاجتهاد من أقرب وأهم الاجتهادات التى تناولت هذا الاسم – سنّار – بالتحليل.

ومدينة سنّار مرت بمراحل عديدة إلى أن وصلت إلى شكلها الحالى. فهى تعد من أهم المدن السودانية، ذات البعد التاريخى، فعلى أراضيها قامت أهم السلطنات

فى أفريقيا عامة والسودان خاصة، وهى السلطنة الزرقاء كما يطلق عليها فى بعض الأحيان.

ومن الأهمية بمكان أن نتناول مدينة سنّار بالدراسة والتحليل من خلال التميز بين ما يطلق عليه بـ "سنّار القديمة" التى قامت على أراضيها أول مملكة إسلامية فى السودان كما أسلفت الذكر، و "سنّار الحديثة" حيث يوجد فى الحاضر: مدينة سنّار ومحلية سنّار وولاية سنّار والتى تحمل جميعها اسم "سنّار". فكلاهما "سنّار القديمة والحديثة " يعكس رؤية واضحة لمجتمع الدراسة.

أولاً : سنّار القديمـــة :

تقع سنّار القديمة أو سنّار التقاطع Senner Junction كما يطلق عليها الآن على بعد ثلاث كيلو مترات شمال سنّار المدينة الموجودة حالياً على الضفة الغربية للنيل الأزرق.

وتفوح "سنّار القديمة" بعبق التاريخ الزاخر بمعالم أول مملكة إسلامية قامت فى السودان وامتدت لقرابة الثلاث قرون [٣].

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن مدينة سنّار خطها الملك "عمارة دنقس" بعد سقوط مملكة علوة مباشرة سنة ١٥٠٤ م ولم يكن لهذه البقعة من الأرض شأن قبل أن يجعلها عمارة دنقس حاضرة ملكه [٤].

وبذلك اكتسبت هذه المدينة أهمية خاصة عن باقى المدن الأخرى نظراً لكونها أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية الجديدة، لدرجة أنه أحياناً كان يطلق اسمها على

السلطنة ككل، فكان من بين الألقاب التى أطلقت على دولة الفونج اسم "سلطنة سنّار" نسبة إلى العاصمة سنّار (٥).

وحكم هذه السلطنة حوالى خمسة وعشرون سلطاناً فى فترة تزيد قليلاً على الثلاث قرون، وكان هؤلاء السلاطين يحكمون قبضتهم على شئون المملكة حوالى مائتين وثمانية وخمسين عاماً من هذه الفترة، وذلك حتى عام ١٧٦٢م عندما خلع "الهمج(*)" ومعهم العسكر السلطان " بادى الرابع " وأصبحوا يتحكمون فى السلطنة والسلطان حتى مجئ الأتراك والمصريين فى عام ١٨٢١م. (٦)

ولم تجد هذه القوات الغازية أى مقاومة تذكر، لأن سلطنة سنّار آنذاك كانت فى حالة احتضار نتيجة لضعفها وتفككها الداخلى وعزلتها عن العالم الخارجى .

وكان استيلاء الأتراك على السودان بداية لدخول السودان ككل مرحلة جديدة من تاريخه (٧)

وإذا كان السودان دخل مرحلة جديدة من تاريخه كما يقول البعض بدخول الأتراك فلا أحد يستطيع أن ينكر أهمية وفضل فترة قيام وازدهار دولة الفونج الإسلامية فى تاريخ السودان عامة ، خاصة على الإسلام والثقافة العربية.

ثانياً : سنّار الحديثة :

يوجد بالسودان في الوقت الحاضر ثلاث مناطق جميعها يحمل اسم "سنّار، فهناك ولاية سنّار ومحلية سنّار و مدينة سنّار"مجتمع الدراسة ". ومن ثم يصبح من الضرورة توضيح الفرق بين كلاً من هذه المناطق علي النحو التالي.

أ- ولاية سنّار :

تتقسم السودان وفقاً لآخر تقسيم إدارى إلى مجموعة ولايات، منها على سبيل المثال لا الحصر الولاية الشمالية وولاية الجزيرة وولاية سنّار ... إلخ. " أنظر الخريطة رقم ١ "



خريطة رقم (١)

الولايات السودانية بجمهورية السودان

المصدر :

http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%D9%84%D9%81:Sudan-adm-ru_2.png&filetimestamp=20110901014946

ويأتى على رأس كل ولاية من هذه الولايات "والى" وهو ذلك الفرد الذى يسند إليه حكم هذه الولاية. ويوجد لكل ولاية حكومة تتكون من مجموعة وزراء ، يسند إليهم مهام تنفيذ القوانين والتشريعات الخاصة بالولاية والتى تصدر من خلال المجلس التشريعى لهذه الولاية.

وتقع ولاية سنّار بين دائرتى عرض ١٢.٥ و ١٤.٧ شمالاً وخطى طول ٣٢.٥٨ و ٣٥.٤٢ شرقاً فى وسط الحزام الطينى الذى يغطى أواسط السودان.

وعاصمة الولاية هى مدينة سنجة. وتنقسم الولاية إلى ثلاث محليات "محافظات" هى محلية سنجة ومحلية الدندر ومحلية سنّار [٨].

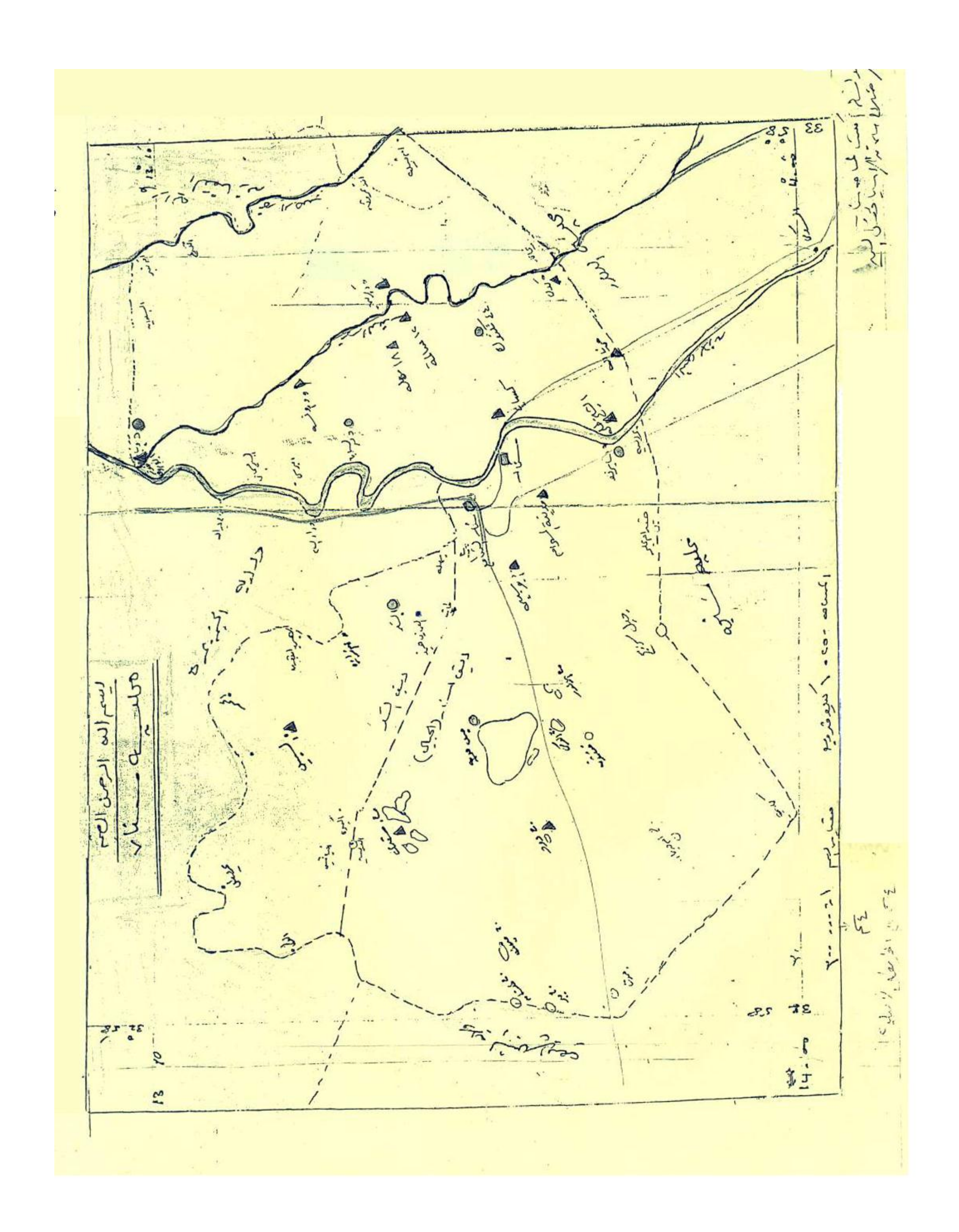
وتبلغ مساحة الولاية ٩.٦٥٠.٠٠٠ فدان "٤٠.٦٨٠ كيلو متر مربع" وتعادل ٢.٧% من مساحة القطر ككل.

ويبلغ عدد السكان فيها وفق إحصاء سنّار ٢٠٠٣م إلى ١.٣٠٠.٨٥٣ "مليون وثلاثمائة ألف وثمانمائة وثلاثة وخمسون نسمة" [٩].

ب - محلية سنّار :

تقع محلية سنّار فى شمال الولاية ويحدها من الغرب ولاية النيل الأبيض "محلية الجبلين" ومن الناحية الجنوبية محلية سنجة ومن الجنوب محلية الدندر ومن الناحية الشرقية ولاية القضارف، حيث يعتبر نهر الرهد حداً فاصلاً بين المحلية والولاية.

" انظر الخريطة رقم ٢ "



خريطة رقم (٢)

محلية سنّار

المصدر : إدارة المساحة بمحلية سنّار

وتقع محلية سنّار فى منطقة هامة تمثل حلقة وصل بين جنوب وغرب وشرق البلاد، خصوصاً بعد إنشاء كبرى سنّار الجديد، حيث تعد المحلية ملتقى عدة طرق برية وسكك حديدية.

وتبلغ المساحة الكلية للمحلية حوالى ١٠.٣٠٠ كيلو متر مربع، وعدد سكانها على حسب آخر تعداد سكان حوالى ٥٠١.١٣٥ نسمة(١٠).

وتدار المحلية حسب قانون الحكم المحلى لسنة ٢٠٠٣م على النحو التالى:-

١- **الجهاز التشريعى:**- يتكون من عشرين عضواً ينتخب من بينهم رئيس المجلس ونائب له وثلاثة رؤساء لجان متخصصة على النحو التالى :

أ- لجنة التشريع والشئون القانونية.

ب- لجنة الشئون الاقتصادية والمالية.

ج – لجنة الخدمات.

ويعين للمجلس أميناً عاماً وسكرتارية.

٢- **الجهاز التنفيذى:**- يكون على قمة هذا الجهاز مدير يطلق علية اسم " المعتمد " وهومعين لهذه المحلية ومديراً تنفيذياً نائباً له، ورؤساء الإدارات الأربعة الآتية -:

أ- إدارة الشئون المالية والاقتصادية والقوى العاملة.

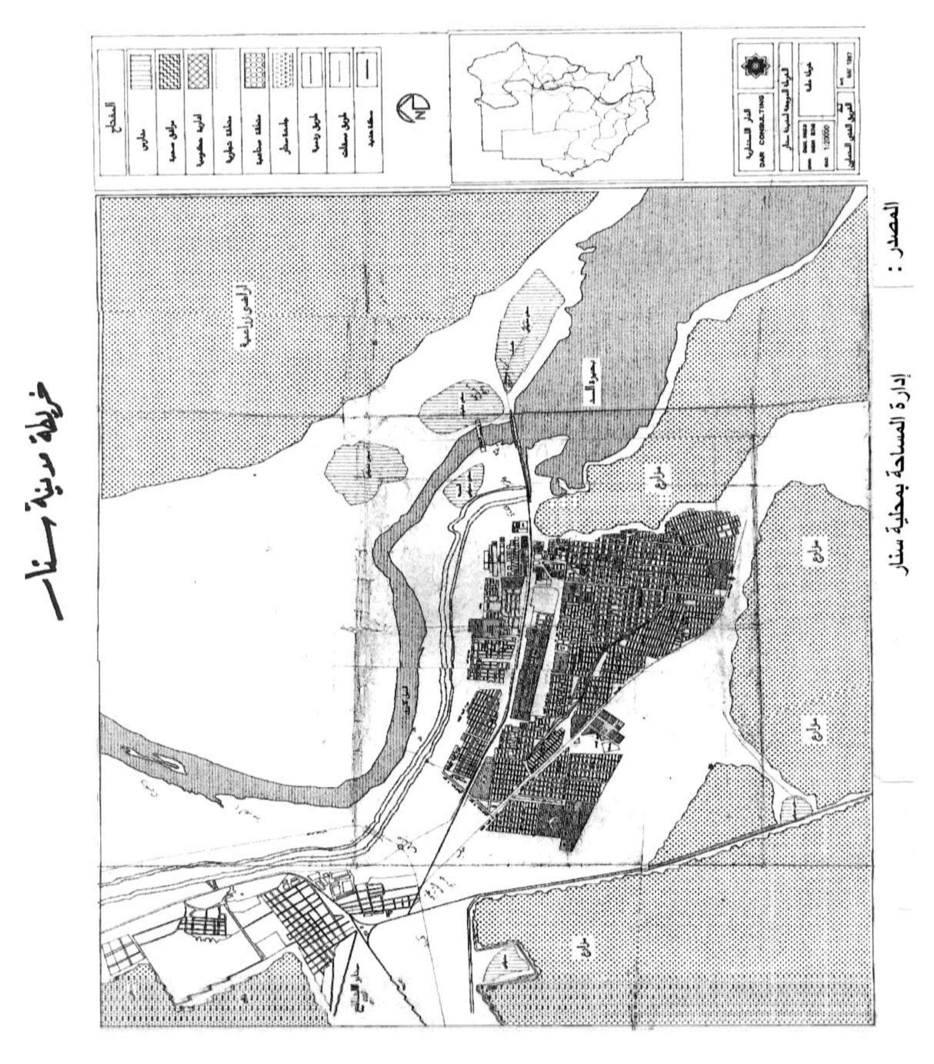
ب- إدارة التعليم. جـ- إدارة الخدمات.

د- إدارة الزراعة والثروة الحيوانية.

بالإضافة إلى الموظفين العمومين والعمال(١١).

ج- مدينة سنّار :

تقع مدينة سنّار "مجتمع الدراسة" فى الضفة الغربية من النيل الأزرق عند "سد سنّار Sennar Dam" وتبعد عن سنّار القديمة أو كما يطلق عليها الآن بسنّار التقاطع بحوالى ثلاث كيلو مترات فى الجنوب منها. " أنظر الخريطة رقم ٣ "



خريطة رقم (٣)

مدينة سنّار

المصدر : إدارة المساحة بمحلية سنّار

وتتكون سنّار من مجموعة أحياء سكنية يصل عددها إلي ثلاثين حي ، يمكن إيضاحها علي النحو التالي :

١- القلعة شرق. ٢- القلعة وسط. ٣- القلعة غرب.

٤- الثورة. ٥- أبيى. ٦- الجنينة.

٧- الفاشر. ٨- مربع ٢١ شمال. ٩- مربع ٢١ جنوب.

١٠- المزاد. ١١- التضامن شمال. ١٢- التضامن جنوب.

١٣- تكتوك. ١٤- العباسية ٥١ ١٥- العباسية ٥٢

١٦- كمبو الرى والسجن. ١٧- الدرجة والسكة الحديد. ١٨- كبوش.

١٩- الأندلس. ٢٠- الدباغة. ٢١- القادسية.

٢٢- مدينة السلام. ٢٣- ريح بالك. ٢٤- رحال.

٢٥- مربع ٢٤ & ٢٥ ٢٦- مربع ٢٢ & ٢٣ ٢٧- فنقوقة شرق.

٢٨- فنقوقة غرب. ٢٩- الوحدة. ٣٠- الموظفين والشرطة(١٢) .

ويلاحظ أن هذه الأحياء غير متساوية فى أعداد السكان أو فى التنوع والتعدد الإثني، وليس كلها أحياء سكنية تم إقامتها بفرض السكن، فهناك أحياء مثل حى الموظفين والشرطة يوجد به بعض الأبنية الخدمية والشرطية.وليس بها مبان سكنية بالمعنى الواضح، كما أنه يوجد أحياء كبيرة من حيث الأبنية السكنية مثل حى القلعة وحى الجنينة، وأحياء صغيرة مثل كمبو الرى والسجن ..... إلخ.

ليس هذا فحسب بل يلاحظ اختلاف الأحياء فيما بينها من حيث المستوى والمكانة الاجتماعية، فعلى سبيل المثال، يمثل حى الدرجة أرقى الأحياء السكنية فى مدينة سنّار وغالبية سكانه من التجار وخاصة من قبيلة الجعليين الذين يعمل

معظمهم بالتجارة. وكذلك الحال بالنسبة لحى المزاد والذى يعد هو الأخر من أرقى الأحياء فى مدينة سنّار بعد حى الدرجة.

ولكل حى من هذه الأحياء لجنة شعبية. تتكون من مجموعة أعضاء يتفاوت عددهم من حى لآخر، لكن يتراوح عددهم ما بين ٥ إلى ١٠ أعضاء، ويكونون غالباً من كبار السن والشباب معاً.

ويتم اختيار هؤلاء الأعضاء عن طريق أفراد الحى أنفسهم بطريقة الإجماع "نظام التزكية"، ولا يدخل فى هذا الاختيار أى ضغوط من الحكومة أو غير ذلك، كما أنه لا يحق للحكومة الإعتراض على أى من هؤلاء الأعضاء أو ترشيح أى فرد من جهتها. فهو اختيار شعبى حر من أفراد الحى فقط.

وتعتبر هذه اللجنة هى المتحدث والجهة الرسمية الممثلة لهذا الحى، ومهمة هذه اللجنة تتمثل فى متابعة الخدمات فى الحى والاتصال بالضباط الإداريين فى المحلية.

وتقوم كل لجنة بتحديد رئيس لها من أعضائها أيضاً بطريقة التزكية.ويراعى فى عملية اختيار أعضاء هذه اللجنة عملية تمثيل كل القبائل الموجودة داخل الحى أو غالبيتها على الأقل.

ومن الجدير بالملاحظة أن هذه اللجنة وإن كانت تسمى باللجنة الشعبية ويتم اختيارها من أفراد الحى، فليس مناط بها كل الأعمال والمهام داخل الحى مثل عمليات فض المنازعات، والتى قد لا تتدخل فى فضها إذا لم يطلب الأطراف المتنازعة منها التدخل.

الهوامـــش

(1) Sondra Hale : Gender politics in Sudan . Islamism, socialism and The state , West view press ,Colorado , U.S.A. , 1997 , p. 74

(٢) عـون الشـريف قاسـم: موسـوعة القبائـل والأنسـاب فـى السـوداء. وأشـهر أسـماء الأعـلام والأمـاكن، الجـزء الثالـث" س.. ط، شـركة أفـرو قـراف للطباعـة، الخرطـوم، ١٩٩٦، ص ١١٣٩

(3) H.C. Jacksan: Tooth of Fire. Being some account of ancient kingdom of Sennar, Oxford, 1911, P. 1.

(٤) بـابكر فضـل المـولى حسـين: مظـاهر الحضـارة فـى دولـة الفـونج الإسـلامية، دار السداد، الخرطوم، ٢٠٠٤، ص ص ٧٦ – ٧٧

(٥) نفس المرجع ، ص ١٠٨

(*) اسم همج من الأسماء التي اطلقها العرب علي قبائل كـانم في إقليم برنـو ، وهـي كلمـة كانوا ينبزون بهـا مـن يعتقدون أنـهم ليسو مـن أصل عربـي . كمـا كانـت هذه الكلمة في مدلول سكان وادي النيل كانـت تعنـي " هذه الجماعات التـي بسط عليهـا الفنـج سلطانـهم "

لمزيد من التفاصيل يمكن النظر إلي المرجع الآتي :

عبدالمجيد عابـدين : تـاريخ الثقافـة العربيـة فـي السـودان منـذ نشـأتها إلـي العصـر الحديث ، ط٢ ، دار الثقافة ، لم يذكر مكان النشر ، ١٩٦٧ ، ص ٥٣

(٦) قيصر موسي الزين : فترة إنتشار الإسلام والسلطنات "١٦٤١-١٨٢١" م ، مركز عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان ، الخرطوم ، ١٩٩٨، ص ٥٠

(٧) تاج السر عثمان : لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعى "١٥٠٤ – ١٨٢٣" م، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠٠٤، ص ١٤

(٨) إشراقة عبد الله على النعيم: أثر العادات الغذائية على المستوى الغذائى والصحى للأطفال. مرحلة ما قبل المدرسة. دراسة حالة. ريفى ولاية سنّار، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ٣

(٩) نفس المرجع ، ص ٣

(١٠) مكتب المدير التنفيذى لمحلية سنّار، ولاية سنّار، السودان، ٢٠٠٦م

(١١) مكتب المدير التنفيذي لمحلية سنّار.

(١٢) مكتب إحصاء ولاية سنّار، الجهاز المركزى للإحصاء.

الفصل الثالث
الجماعات الإثنية بمدينة سنَار

سبق وأن أشرت إلى أن مدينة سنَّار تعتبر سوداناً مصغراً، نظراً لما تتميز به من وجود العديد من الجماعات الإثنية التى تعيش على أراضيها. وهى تمثل فى غالبيتها جماعات إثنية وافدة على المدنية عبر فترات تاريخية طويلة. شكلت في مجملها التركيبة السكانية الموجودة فى مدينة سنَّار فى الوقت الراهن.

وتنوعت هذه الجماعات الإثنية الوافدة على مدينة سنَّار، بين جماعات ذات أصول عربية وأخرى ذات أصول إفريقية.

ومن الجدير بالذكر أن كل جماعة إثنية فى مدينة سنَّار تمثل فى وجودها هوية إثنية للجماعة التى تنتمى إليها فالجعليين الموجودين فى سنَّار هم جزء من قبائل الجعليين المنتشرين فى مختلف ربوع السودان وكذلك الأمر بالنسبة لباقى الجماعات الإثنية الموجودة فى سنَّار مثل الدينكا والنوير والفلاتة والفور

ويمكن أن نتناول هذه الجماعات الإثنية الموجودة فى مدينة سنَّار على النحو التالى :-

١- الجعليون :

الجعليون هم تلك القبائل العربية التى تدعى انحدارها من سيدنا إبراهيم عليه السلام والعباس عم الرسول (ص) [١].

وتُرجع المصادر نسب الجعليين إلى العرب العدنانيين "أى العرب المستعربة" وهم يجمعون بأنهم من العباسيين. وقد احتفظ كثير منهم بمخطوطات وجدت بعضها محفوظة لديهم، وقالوا إنهم يتوارثونها أباً عن جد، وهى تشير إلى أنسابهم وهجراتهم عبر التاريخ، وتاريخ دخولهم السودان، وأماكن تواجدهم اليوم، وانتشارهم بالسودان.

والمجموعة الجعلية والتى تضم قبائل كثيرة تلتقى عند الجد حسن كروم، والذى ينتهى نسبه بإبراهيم جُعل المشهور بالجعلى. وجعل نسبه لسود لونه[٢].

وذهب بعض النسابة السودانيين ومنهم نسابة الجعليين أنفسهم أن لفظة الجعليين لها معنيان عام وخاص:- بحيث يعنى العام ما يعرف بالمجموعة الجعلية وهم أصلاً سكان النيل الوسيط من دانقلا العجوز شمالاً وحتى مشارف الخرطوم جنوباً.

والمعنى الخاص أو المحدد والذى يشير إلى الجعليين الذين تربطهم صلات رحمية قرابية، وهم الذين يعيشون بين ملتقى نهر عطبرة مع النيل إلى الجنوب من الشلال السادس قليلاً[٣].

ولذا فالجعليون لم ينحصروا فى بقعة واحدة من بقاع السودان أو إحدى أقاليمه. فهم فى أقصى الشمال فى ديار المحس، وهم فى أقصى الغرب فى كردفان ودارفور وهم فى الوسط فى شندى وشمالاً حتى بربر وابى حمد وشمال ابى حمد. هذا بخلاف النزوح الفردى أو شبه الفردى الذى وصل إلى أراضى الجزيرة وشرق السودان والمديريات الجنوبية ..... إلخ[٤].

واستطاع الجعليون أن يؤسسوا حكماً منظماً ومستقراً ساسوا به كل مناطقهم دام ٢٣٥ عام بدأ بالتقريب فى عام ١٥٨٨م، وانتهى بالإحتلال التركي، وما تبع ذلك من دمار لديار الجعليِّن[٥].

ويلاحظ على الجعليين المغالاة فى الإعتزاز بأنفسهم وأسلافهم وأمجادهم وهم يتوقون العزة والرفعة والإباء ويتمسك كثيراً منهم بمقولة "جُعل اعزها الله"[٦].

وهم كما يصفون أنفسهم يتسمون بالشجاعة والكرم والإقدام، ويتحدثون اللغة العربية، ولا توجد لديهم لهجة معينة تميزهم عن غيرهم من العرب، ويعمل معظمهم فى أعمال التجارة والزراعة وبعضهم يعمل بالأعمال الحكومية.

ولا يوجد من الجعليين فى مدينة سنَّار من يعمل بالأعمال التى تتسم بالدونية مثل أعمال النظافة أو التحميل والتعتيق.

٢- الشايقية :

تعد الشايقية من أهم قبائل السودان الشمالي من وجهة النظر التاريخية. وترتبط هذه القبيلة بتاريخ السودان الشمالى ارتباطاً وثيقاً من القرن الخامس عشر إلى

القرن التاسع عشر، ولا يعزى هذا الإرتباط إلى الموقع الجغرافى وحده ، بل إلى ما يتصف به أفرادها من نزعات حربية وإقدام ومهارة واستبسال فى الشئون العسكرية (٧) .

وعن أصل قبيلة الشايقية يوجد بعض الروايات التاريخية فى هذا الصدد منها:

– أن الشايقية كانوا أصلاً من البجة. حيث أن جميع أسماء قبائل الشايقية تنتهى بالمقطع "أب" وهو مقطع مأخوذ من لغة البجة. حيث يرى أصحاب هذا الزعم أن فريقاً من البجة وهم "الزفانج" قد هاجروا فى عصور قديمة إلى بلاد النوبة واستقروا هناك واحتفظوا بلغتهم الخاصة فلم تختلط بلغة النوبة.

– وهناك رواية أخرى ترى أن الشايقية فى الأصل هم طبقة من أشداء محاربى المصريين القدماء أو هم جماعات من المحاربين الثائرين الذين تحدث عنهم هيرودوت فذكر أنهم كانوا جنوداً فى جيش فرعون ثم ثاروا وتمردوا على سلطان الفرعون ورفضوا العودة إلى مصر بعد أن هاجروا منها إلى الجنوب فى مهام عسكرية (٨) .

– غير أن أبناء الشايقية أنفسهم يروا غير ذلك. فلا هم من البجة ولا من المحاربين المصريين ، إنما هم عرب خلص وعباسيون فهم من أحد المجموعات العباسية. وتم تسميتهم بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأول والذي كان يطلق علية اسم "شايق" (٩) .

وهذا الإعتقاد هو السائد عن الشايقية فى مدينة سنَّار حيث أنهم يؤكدوا على إنتمائهم العربى الخالص وهجرتهم إلى السودان عامة كما هاجرت غالبية القبائل العربية القادمة من شبه الجزيرة العربية.

ويعرف الشايقية بأنهم أفراد ذو شجاعة وكرم ، والدين الإسلامى دينهم واللغة العربية لغتهم . (١٠)

وفى الماضى كان للشايقية أربعة زعماء كل منهم "ملك" ومراكزهم فى مروى وحنَّك وكجبى وعمرى. وإلى نهاية القرن السابع عشر كانوا خاضعين – مثل غيرهم من القبائل فى السودان الأوسط – لنائب سلطة الفونج المسمى "مانجل" والذى كان مقره فى بلدة "فرى" إذ أمتد نفوذ سلطة الفونج إلى بلاد النوبة. بيد أن الشايقية لم يخضعوا طويلاً لسلطة سنَّار، فقد انتهزوا فرصة الضعف والانحلال الذى أخذ يدب فى كيان السلطنة فى أواخر القرن السابع عشر وتحرروا من نفوذ سلطان سنَّار (١١) .

واشتد خطر الشايقية تبعاً لذلك، إذ قويت شوكتهم وعظم خطرهم وأكثروا من غارات النهب والسلب فى أواخر القرن الثامن عشر، فتعرضوا لقوافل المحس وسنَّار وشندى وبربر فى طريقها إلى مصر عبر صحراء النوبة. وكذلك لقوافل كردفان الذاهبة إلى مصر عند مرورها بدنقله أو الدبه. بل امتدت غاراتهم إلى كردفان ذاتها، وإلى دارفور عندما أخذ الضعف يدب فى كيان سلطنة الفور فى أواخر القرن الثامن عشر (١٢) .

وفى تلك الفترة أصبحت الشايقية أقوى قبيلة فى السودان الشمالى وأصبحت تثير الرعب والخوف فى جميع البلاد الممتدة فى حلفاية الملوك جنوباً إلى حدود

المحس شمالاً. إلى أن جاء الغزو التركى على السودان وبدأ الجيش التركى الغازى يدخل السودان دون أية مقاومة من كل القبائل الواقعة على ضفتى نهر النيل إلى أن جاء إلى الشايقية وطلب منهم الخضوع لكنهم رفضوا، وقاوموا الغزو التركى لبلادهم. وقال بعض المؤرخين فى هذا الصدد أن الشايقية لم يهزموا أمام الغزاة الأتراك وإنما أبيدوا (١٣).

والشايقية رغم توافر الظروف الطبيعية لقيام الزراعة على نطاق واسع فى المناطق التى يعيش بها الشايقية، حيث أن إقليم الشايقية جغرافياً يمتد على ضفتى نهر النيل، إلا أن الشايقية عاشوا حياتهم مع خيولهم ورماحهم، ونظروا إلى فلاحة الأرض على أنها حرفة محتقرة تلصق بمن يزاولها الازدراء والاحتقار. كما أن لفظ فلاح فى عرفهم ينطوى على معنى الذل والعبودية

وإقليم الشايقية رغم امتيازه بالأراضى الخصبة، حيث السهول الفيضية على الجانبين وإمكان زراعتها إلا أنهم يحافظون على طبيعتهم البدوية ولذا فهم يمتلكون ثروة عظيمة من قطعان الماشية والأغنام.

ووفرة غلاتهم الزراعية لم يكن ينسب إليهم، وإنما للنوبيين والرقيق اللذين سخروا بواسطة الشايقية لزراعة الأراضى بالإضافة إلى قلة من المعوزين من الشايقية (١٤).

ولا يختلف الشايقية فى مدينة سنَّار عن باقى الشايقية فى مختلف ربوع السودان من الشعور بالعزة والشجاعة والشعور بالإقدام. ويعمل غالبية الشايقية فى مدينة سنَّار بالتجارة والأعمال الحكومية المختلفة. والبعض منهم يمتلك الماشية.

٣- التعايشة :

التعايشة من القبائل التى يطلق عليها اسم البقارة نسبة إلى حرفتهم وهى رعى الأبقار، وتنتمى هذة القبيلة فى أصلها إلى مجموعة قبائل جهينة . [١٥]

وتعد التعايشة من أكبر فروع قبائل جهينه بدارفور . وهى قبيلة حدودية، حيث تمتد بنفس التركيبة والعناصر البشرية إلى داخل تشاد وأفريقيا الوسطى.

وينقسم التعايشة إلى قسمين كبيرين هما :-

أ- العرج.　　　　ب- القلادة.

وينقسم العرج إلى أربعة عشر فرعاً وهم :

١- أولاد عامر.　　٢- أولاد ثابت　　٣- أولاد زيد

٤- أولاد سلمة　　٥- الشوشه　　٦- النجيمه

٧- الضيابية　　٨- أولاد بحيرى　　٩- الدقايله

١٠- البركاوى　　١١- الشلوص　　١٢- الحضرمى

١٣- أولاد أبو ملكه　　١٤- الهداليى

وينقسم القلادة إلى إثنى عشر فرعاً وهم :-

١- الجبارات　　٢- أم ريده　　٣- أولاد سنا

٤- أولاد حميدان　　٥- أم لعسه　　٦- أولاد عباس

٧- الجرارحه　　٨- الفاطمية　　٩- المطيحية

١٠- الغزالين　　١١- أولاد سعد　　١٢- أولادأبـــــو قدوم [١٦]

ويطلق على التعايشة هذا الاسم نسبة إلى جدهم الملقب بـ "أحمد تعيش" وفى هذا الصدد تسرد العديد من الروايات حول تلقيب الجد "أحمد" بهذا الاسم "تعيش" منها على سبيل المثال:-

أنه بعد وفاة والد أحمد "كان جده أبو والدته يغنى له لكى يكف الطفل عن البكاء، بإحدى الأقوال "أسكت أنت تكبر تعيش" ومن ثم أخذ الصبية يرددونها "تعيش" فأصبح يعرف بأسم "أحمد تعيش" ونسبت القبيلة بعد ذلك لهذا اللقب فقيل تعايشة[١٧].

ويعتمد التعايشة بوجه عام فى كسب العيش على الرعى والزراعة على الترتيب من حيث الأهمية ولا ينفى ذلك وجود مصادر كسب أخرى على المستوى الشخصى لبعض الأفراد، كبعض الحرفيين فى الحرف الصغيرة وبعض من مارسوا العمل التجارى المستقر أو المتجول، بالإضافة إلى هجرة بعض الشباب للمدن الكبيرة والدخول فى ميدان العمل فى القوات النظامية وعمال فى المصانع. لكن يعد الرعى هو النشاط التقليدى لكسب العيش لأفراد هذه القبيلة منذ أمد بعيد، فهم عرب رحل فى الأساس. وكل ما عدى ذلك، حتى ولو كانت الزراعة، يعتبر مجال مكتسب فرضته ظروف طرأت على مجتمعهم.

والبقر هو الحيوان الأساسى فى رعيهم وإلى جانبها يرعون الضأن والماعز.

والزراعة وإن كانت تمثل النشاط الثانى عند التعايشة إلا وأنها تعد للمستقرين بالقرى المصدر الأساسى فى كسب العيش(١٨).

ويلاحظ إنه إذا كان هذا هو حال التعايشة فى مختلف ربوع السودان فهو نفس الحال بالنسبة للتعايشة فى مدينة سنَّار. إلا أن غالبية أفراد العائلات هناك تجمع بين حرفتى الرعى والزراعة. فيوجد من بين أبناء العائلة الواحدة من يرعى وآخرون يعملون بالزراعة ومنهم أيضاً من يعمل بالتجارة أو الأعمال الحكومية المختلفة.

والتعايشة ورغم انشغالهم بكسب العيش إلا أن هذا لم يمنعهم من الاهتمام بأحوالهم الداخلية والشئون السياسية المحيطة بهم.

فلقد أعطت قبيلة التعايشة ولاءها للمهدية، مندفعة فى ذلك بالحماس الدينى من جانب، بالإضافة لكراهيتهم مثل الكثير من القبائل السودانية الأخرى للأتراك الغزاة لأراضيهم وديارهم. فنخرط التعايشة فى صفوف الثورة المهدية، حتى أن معظمهم لم يرجع إلى دياره بعد نهاية الثورة المهدية، وإنما انتشروا فى مختلف ربوع السودان (١٩).

بحيث يمكن القول بأن التعايشة بعد المهدية قد توزعت على أربع مجموعات أساسية هى:-

- **المجموعةالأولي:** التى صحبت السلطان على دينار ويتزعمها الشيخ على السنوس، وهى المجموعة التى خرجت من أم درمان قبيل معركة كررى، وأتجهت نحو الغرب. حيث عاشت هذه المجموعة فترة قصيرة فى شمال دارفور فى جوار السلطان على دينار. الذى أستعاد سيادته على دارفور مرة أخرى. ثم رجعت هذه المجموعة إلى دار التعايشة، حيث كانت هذه المجموعة النواه التى تجمع حولها بقية التعايشة العائدون من معارك المهدية فى كررى وأم دبيكرات.

- **المجموعة الثانية:** وهى التى صحبت الخليفة عبد الله بعد معكرة كررى وسارت هذه المجموعة نحو الجنوب الغربى مفارقة النيل الأبيض. وهذه المجموعة خاضت أخر معركة فى المهدية، ثم تفرقت بعد الهزيمة بين قتيل وأسير وهارب. منهم من عاد إلى دار التعايشة ومنهم من أستقر بالنيل الأبيض.

- **المجموعة الثالثة:** وهى المجموعة التى خرجت من أم درمان بعد كررى وأستقرت على النيلين الأزرق والأبيض فى مدن سنَّار ومكوار وسنجه والروصيرص. ويبدوا أن هؤلاء ساروا فى مجموعات صغيرة، كل مجموعة سكنت فى منطقة من المناطق المذكورة.

- **المجموعة الرابعة:** وهى تلك المجموعة التى لجأت إلى سلطنة البرقو ودار سلا[٢٠].

٤- النوبيون:

النوبيون هم أولئك القوم الذين يسكنون بين الشلال الأول والرابع. وفى بعض الأحيان كانت كلمة النوبة تطلق على سكان المنطقة الواقعة بين الشلال الأول قرب أسوان وحتى ملتقى النيل الأزرق والأبيض. لذا كانت تقسم بعض الدراسات النوبة إلى ثلاث مناطق هي :-

١- النوبة العليا: من ملتقى النيلين وحتى دنقلا.

٢- النوبة الوسطى: من الشلال الرابع إلى الشلال الثانى قرب وادى حلفا.

٣- النوبة السفلى: من الشلال الثانى إلى أسوان

غير أن النوبة المعروفة اليوم هى تلك التى تقطن بين الشلال الأول والرابع وتتكون من:

١- الكنوز.　　　　٢- الحلفاويون.

٣- المحس　　　　٤- الدناقلة [٢١].

ولقد تحول النوبيون إلى الإسلام لكنهم احتفظوا بطباعهم ولغتهم التى لم تستطيع العربية أن تمحوها تماماً، وإن كانت قد طعمتها بكثير من الألفاظ، واستمر النوبيون يتكلمون بلهجاتهم الخاصة بجانب اللغة العربية التى يعرفها الجميع، بحيث يمكن اعتبار اللغة العربية لغة للتفاهم هناك أيضاً إلى جانب النوبية [٢٢].

والنوبيون هم شعب نهرى كما يصفهم الكثيرون، حيث أنهم ملتزمون بوادى النيل التزاماً شديداً ، وذلك لاشتغالهم بالزراعة من جهة ، ولأن الطبيعة الصحراوية للأقاليم المتاخمة للنهر شرقاً وغرباً أرغمت السكان على مر القرون الطويلة أن تظل ملتزمة للنهر وللمساحات القليلة الصالحة للزراعة التى تحف به [٢٣].

ويبدو أن وطن النوبيين الأصلى كان ضيقاً ومحدوداً. بل إنه عجز أن يتحمل الزيادة الطبيعية. أو أن يحقق زيادة فى الإنتاج والعطاء بما يكفل تحسين مستويات المعيشة، ومن ثم كان طبيعياً أن تنطلق من هذا الوطن موجات، وتخرج منه جماعات طموحة تستهدف الحياة الأفضل فى مساحات أخرى من أنحاء السودان [٢٤].

والنوبيون كأصحاب حضارة وتراث وخبرة طويلة بالانتفاع بالأرض من خلال الزراعة، وكانت خبراتهم وراء كل تقدم أو تحسين فى زراعة الأراضى وإنتاج المحاصيل فى كلا من الجزيرة ودلتا القاشى.

ولقد إستطاع النوبيون كشعب عريق فى إشاعة نشاطهم ودعم الانتفاع الأفضل بالأرض وفى الأخذ بأسباب الزيادة فى كل مساحة نزلوا بها كما إستطاعوا تأكيد ذاتهم والمحافظة على كل مقومات نوبيتهم فى كل مهجر بل قد يكون كل مهجر للنوبيين إمتداداً للموطن الأصلي لكل جماعة منهم [٢٥].

٥- الفلاتــه :

الفلاته هم قوم شبه بيض سحنتهم عربية يعتمدون دائماً على أنفسهم. ويعملون غالباً بالرعى وعلى وجه الخصوص رعى الأبقار.

ومن أوصافهم أنهم قوم يعتزون بأنفسهم، وأنهم كثيروا الميل لبعضهم البعض عند المحن والشدة والحروب. وأنهم لا يرتبطون بأرض غير مؤهلة بالإسلام بل يعملون لتأهيلها أو الهجرة منها فى حالة عجزهم. وأنهم سريعوا الإنصهار فى المجتمعات التى يعيشون فيها.

وفى الغالب ينسون لغتهم. فمثلاً فى نيجيريا أعداد كبيرة منهم نسوا لغة الفلاته ويتكلمون لغة الهوسا، مع الاحتفاظ بملامحهم الفلاتية [٢٦]. وهذا يعكس مدي تقبلهم للآخر ، وأنصهارهم في ثقافته . بخلاف النوبيين كما أشرت سابقاً الذين

تحولوا إلي الإسلام لكنهم احتفظوا بطبعهم ولغتهم التى لم تستطيع العربية أن تمحوها تماماً، وإن كانت قد طعمتها بكثير من الألفاظ

وتشكل قبائل الفلاتة أكبر مجتمع رعوى فى العالم بأسرة. نسبة لانتشارهم فى أقطار إفريقية عديدة ،استحال تحديد تعدادهم الفعلى، ويقدر بعضهم التعداد بحوالى اثنى عشر مليون نسمة تزيد نسبة المسلمين فيهم على ٩٣% من تعدادهم الكلى.

ومن الجدير بالذكر أن مسألة أصل الفلاته ظلت بدورها ولا تزال مسألة خلافية تضاربت حولها الآراء والأقوال، وذلك لتضارب المصادر التى أشارت إلى تاريخهم ومنشأهم الأول قبل وصولهم فوتاتور "بلاد التكرور". هذا بجانب ملامحهم وتقاطيعهم غير الزنجية.

وقدراتهم القيادية الكبرى واعتزازهم الكبير بأنفسهم الأمر الذى جعل كثيراً من القبائل فى المنطقة تعتز بالانتساب إليهم. خصوصاً بعد جهادهم الإسلامى الكبير بزعامة الشيخ عثمان دان فوديو مؤسس دولة سكتو الإسلامية بنيجريا منذ مطلع القرن التاسع عشر الميلادى. ولانتشارهم الواسع فى بلاد الغرب الافريقى، ومشاركتهم الفاعلة فى المجتمعات الإفريقية وتعدد أسماؤهم، مما زاد الأمر تعقيداً فى تتبع أخبارهم. فبينما يسميهم الهوسا "الفلانى" و "هيلانى" يسميهم الماندينقو بـ (فلا) أما الكنورى فى تشاد وما حولها فيطلقون عليهم اسم "فلاته" وعنهم فيما يبدو أخذ "السودانيون" هذا الاسم (٢٧).

وعموماً أجمع المؤرخون الذين تناولوا الفلاته بالتحليل والتدقيق أنهم ينتهون بالنسب إلى العرب وأن عدد منهم ينتسب إلى عقبه بن نافع الفهرى وأنهم كانوا

يشكلون قوة كبيرة فى جيش الفتح الإسلامى الأول فى الأندلس . وبعد فقدان الأندلس جاءوا إلى الغرب الإفريقى عبر دول المغرب العربى.

والفلاته فى السودان ينتشرون فى معظم مدن وقرى وبوادى السودان، لكن مركزهم الرئيسى فى جنوب دارفور وأهم مناطقهم هناك هى جداد وتلبس وسرقليه وسعدون والطويل والقمة. وتعتبر تلس هى حاضرتهم وبها مقر الناظر.

كما يتواجد الفلاته أيضاً فى مناطق كثيرة أخرى من السودان فهم فى البرداب بجبال النوبة وهم فى سنَّار وكوست وربك وبجبال فازوغلى.

ويمتلك الفلاته أفضل أنواع الخيول وعندهم أضخم وأجود أنواع الأبقار بدارفور وكردفان.

والفلاته معروفون بين كل قبائل السودان بالتمسك بالدين الإسلامى فهم يفاخرون غيرهم بأنهم حتى الاستقلال لا يوجد بينهم فلاتى واحد يشرب الخمر، فديارهم لا تعرف صناعة الخمر. كما أنهم أنشأوا الكثير من الخلاوى والمساجد فى كثير من قرى ومدن السودان(٢٨).

٦- قبائل الفور:

الفور هم أكبر جماعة إثنية فى إقليم دارفور ، حيث يصل تعدادهم فى هذا الإقليم إلى نحو ٢ مليون نسمة من إجمالى سكان الإقليم الذى يصل إلى ٦ مليون نسمة (٢٩)

اختلفت الروايات وتناقضت فيما بينها عن أصل الفور. إلا أن المرجح أنه شعب شبه زنجى، مزيج من الزنوج والحاميين(٣٠). ولذا يُوصف الفور بأنهم ذا لون

أسـود داكـن أو أسـود رمـادى وهـم متوسـطوا الطـول وتقـاطيع الوجـه لـيس لهـا ما يميزها [٣١]

ودارفور فى الأصل تطلق على الجزء الجنوبى الغربى مما كان يعرف بمديرية دارفور، حيث يسكن الفور. فى منطقة تحدها قبيلة المساليت من الغرب والزغاوة من الشمال وقبائل البقارة من الشرق والجنوب. ودارفور ليست الوحيدة فهناك دارات أخرى مثل دارمساليت ودارزغاوة وداربرتى ودار ميدوب ..... إلخ.

ومع ذلك يعد الفور هم أكبر مجموعة مستقرة فى غرب دارفور وكانوا لعهود طويلـة السكان الوحيدون لجبـل مُرة فهو مـوطنهم الأول وإن امتـدت أراضـيهم إلـى السهل المنحدر منه [٣٢].

ولم تتوحد الفور فى جبل مرة ولم تظهر كمملكة إسلامية إلا فى منتصف القرن السابع عشر على يد سليمان سولونج [٣٣].

وارتبط تأسيس سلطنة الفور بالتعليم الإسلامى خاصة قراءة القرآن. وفتح من أجل ذلك الخلاوى وأرسلت بعثات لتلقى التعليم الإسلامى فى بلاد مراكش ومصر وبلاد الحرمين. وقد عملوا على استجلاب علماء من الأزهر لتأسيس الخلاوى. ورحبوا بعلماء برنو الذين نزحوا من غرب أفريقيا واحسنوا وفادتهم. واقتطعت لهم مساحات من الأراضى تعينهم على التعليم عرفت بالحواكير [٣٤].

والإسلام كمعتقد دينى وكثقافة أقوى كان يمثل تياراً يتقدم على الدوام على حساب الأعراف المحلية. خاصة وأنه لم يكن هناك دين ينافسه أو تيار ثقافى مماثل

يعارضه. وقد دخل الفور أنفسهم هذا الدين. وبالتالى أضحى حملة الألقاب وحفظه التقاليد منهم يقبلون أثره دون اعتراض أو ضجر أو حرج.

وكانت لغة الفور لا ترقى إلى مستوى اللغة العربية، لأنها أولاً لغة محلية ولأنها ليست لغة كتابة ولأن اللغة العربية المنافسة لها لغة الإسلام الذى يدين به الناس. ومع ذلك فقد ظلت لغة الفور هى لغة الحديث ولغة الحياة العامة لكنهم يكتبون كتبهم باللغة العربية التى كانت لغة الخاصة (٣٥).

وسكان دارفور بعضهم رحَّل يرعون إبلهم ومواشيهم وبعضهم يزرعون الأراضى (٣٦).

٧- قبائل الدينكا :

تعد الدينكا من أكبر القبائل فى جنوب السودان حيث يصل تعداد سكانها إلى نحو مليونى نسمة . (٣٧)

ينتمى الدينكا إلى المجموعات النيلية التى تغطى السودان، ويشكلون بتعدادهم أكثر المجموعات الإثنية تعداداً فى السودان عامة .

وقد عُرف الدينكا لدى رحالة القرن التاسع عشر ومن بعدهم من الرحالة بوصفهم "عمالقة يقارب طولهم السبعة أقدام، ورشاقة أجسامهم الذى يتسم بالنحافة".

وأرض الـدينكا هــى أرض السـافانا الفنيــة التــى تخترقهـا ميـاه النيـل وفروعـه العديدة، ويقيم الدينكا فيها بأعدادهم الكبيرة، وتجمعاتهم السكنية الموزعة التى تفصلها الأنهار الكثيرة عن بعضها البعض (٣٨).

واليـوم تقطـن معظـم قبائـل الـدينكا فـى المنـاطق الإداريـة التابعـة لبحـر الغـزال وأعالى النيل، وهما اثنتان من الأقاليم الإدارية بجنوب السودان ، غير أن مجموعة واحدة

هى"الـدينكا نقـوك" تتبـع إقلـيم كردفـان إحـدى الأقـاليم الإداريـة السـت لشـمال السودان (٣٩).

وقد ساهمت الأزمة السياسية بين الجنوب الزنجى، والشمال العربى فى زيادة العناء للأبرياء الذين راحوا ضحية هذه الحرب وللمفارقة وجد الجنوبيون الأمان فى مدن الشمال،كما هرب الآلاف إلى خارج حدود القطر (٤٠).

وأوطـان الدينكا الأصلية عبارة عن أراضـى سهلة خالية من أى أثر للجبال أو الكثبان ، ولذلك كان تصريف المياه فيها متعذراً وكان سبباً لإنتشار المستنقعات فى فصل المطر، ويعقب موسم الأمطار موسم الجفاف الذى تجف فيه الأرض وتتشقق . ويهـرب الـدنكاويون مـن الجفـاف المنتشـر بمـوطنهم إلـى شـواطئ الأنهـار أو المنخفضات التى يبقى بها الماء (٤١).

ويقـوم إقتصـاد معظـم قبائـل الـدينكا فـى الأسـاس علـى اقتنـاء الماشـية خاصـة الأبقـار، فالحرفـة الأساسـية لـديهم الرعـى شـبه المسـتقر، فهـم يرعـون فـى المنـاطق الممطرة، وإذا جاء موسم الجفاف انتقلوا إلى مناطق أخرى تكثر بها الأعشاب.

وللأبقار مكانة كبيرة فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، فيها يقدر الثراء والمكانة الإجتماعية، وبها يدفع المهر والدية، وبالتالى فهى تمثل أهمية روحية وحيوية، وهذا يجعلهم يتقاتلون من أجل الحصول على الأبقار وكثيراً ما تنشب الحروب بين فروع قبيلة الدينكا بسببها. ولأهمية الأبقار فى حياة الدينكا فهى تعد الشئ الوحيد الذى يحسد عليه المرء، ولابد للدينكاوى من الحصول عليها بأى طريقة من الطرق (٤٢).

فالزواج على سبيل المثال عند الدينكا لا يتم لا من خلال دفع المهر والذى يقدر فى المتوسط بخمسة عشر بقرة وخمسة ثيران توزع على والد الفتاة ووالدتها (٤٣).

والزواج عندهم إغترابى أى من خارج العشيرة التى ينتمى إليها الشخص، ويعتبر الزواج من داخل العشيرة من المحرمات وإذا حدث فإنه يجلب عليهم غضب أرواح السلف والخراب والدمار على القبيلة بأكملها (٤٤).

وتنقسم قبيلة الدينكا إلى عدد من البطون الكبيرة، ولكل قبيلة منها اسمها الخاص (٤٥).

وقد تستمد بعض أسماء هذه القبائل من أسماء الحيوانات مثل أتوت وهو اسم للأوز، وأقار وهو اسم للثور ذو القرنيين وبعضها قد يستمد من أسماء الأماكن مثل بور وهو اسم الفيضان لأن بلادهم تغمرها المياه كل أيام الخريف (٤٦).

ومن الجدير بالذكر أن الدينكا الذين يتألفون من حوالى خمسة وعشرون مجموعة قبلية تحترم كلاً منها استقلال لأخرى.

وتتسم كل هذه المجموعات بالعديد من السمات المشتركة مثل السمات الجسمانية بالإضافة إلى اعتزازهم بإنتمائهم الإثنى ووحدتهم الثقافية (٤٧).

والدينكا أناس غاية فى التدين، ووفقاً للأساطير عند الدينكا فإن الرب هو الأكثر تسامياً وعلواً. بينما تحتل أرواح مقدسة أخرى مواقع أقرب للإنسان، وهى التى يشار إليها برموز شائعة فى البيئة المحيطة. أما الأكثر قرباً للإنسان فهم الأموات. ولذا فإن الدينكا يولون الاهتمام الأكبر فى حياتهم لأسلافهم وأرواح العشيرة (٤٨).

ويرجع الدينكاويون كثيراً من أمور حياتهم إلى أرواح أسلافهم مثل الأحلام والمرض. ويبتهلون دائماً إلى تلك الأرواح لمعاونتهم ومساعدتهم فى الصيد ورعى الأبقار (٤٩).

وينتشر بين قبائل الدينكا عبادة وتقديس "الطوطم" وغالباً ما يكون من الزواحف أو الحيوانات أو الأشجار. فتتخذ كل عشيرة لنفسها طوطماً معيناً كالتمساح أو الأسد أو الثعبان ... إلخ. ويكون مقدس بالنسبة لهم فلا يقتلونه ولا يأكلون لحمة ولا يستخدمون جلده.

ومن الجدير بالذكر أن فى الأونة الأخيرة انتشر الدين الإسلامى والمسيحى بين أبناء شعب الدينكا وخاصة بعد اتصال شمال السودان بجنوبه وتيسير المواصلات (٥٠).

٨- قبائل النوير :

يعتبر النوير من بين القبائل السودانية الهامة ، لتميزها كجماعة إثنية لها ثقافتها وذاتيتها. ويتنقل أفرادها بين ربوع الأقاليم السودانية فى الشمال والجنوب

والشرق والغرب لأسباب متعددة من أهمها الحروب فى الجنوب السودانى. وكان من بين الأقاليم التى تواجد فيها النوير مدينة سنَّار، والتى تزخر أراضيها بالعديد من أبناء هذه القبيلة، متواجدون فى غالبية أحيائها.

ويسكن النوير – الموطن الأصلى لهم – فى إقليم المستنقعات وعلى كلتا ضفتى النيل

إلى حدود الحبشة ما بين خط عرض ٩.٣٠° إلى ٧.٣٠° شمالاً[٥١].

والنوير لا يستطيعون أن يعيشوا فى مكان واحد طوال العام لأن الفيضانات تدفعهم وقطعانهم إلى البحث عن الحماية فى الأراضى المرتفعة. وغياب الماء والمراعى فى هذه الأراضى المرتفعة تجبرهم أن يتحركوا أثناء الجدب . ومن ثم فإن حياتهم بالضرورة حياة هجرة[٥٢].

فالبيئة الطبيعية تلعب دوراً هاماً فى حياة النوير. ففى شهر مايو من كل عام تبدأ الأمطار فى السقوط بغزارة، الأمر الذى يؤدى إلى فيضان الأنهار حتى إذا ما جاء شهر يونيو تكون غالبية المناطق قد تحولت إلى مستنقعات هائلة.

وفى خلال فصل الأمطار يعيش النوير فى قراهم التى يقيمونها فوق روابى عالية لتحميهم من مياة الأمطار. وفى ذلك الفصل يشتغلون بزراعة الذرة ورعى الماشية. وعندما ينتهى فصل الأمطار يخرج الأهالى ومعهم ماشيتهم يرتحلون بها من مرعى لآخر ويقيمون لهم مخيمات فى كل مكان يحلون به ويستمر الحال كذلك حتى يبدأ سقوط المطر، وعندئذ يسارع الأهالى بالعودة إلى قراهم ثانية[٥٣].

والنوير كما أشرت سالفاً شعب من رعاة الماشية الرحل يعيشون فى السودان الجنوبى فى إقليم تغطية حشائش السافانا والمستنقعات ويتألف من مجموعة من القبائل. وكل قبيلة تؤلف وحدة إقتصادية مكتفية بذاتها، بمعنى أن لها مراعيها ومواردها المائية الخاصة بها، كما أن لها مناطق معينة لصيد السمك بحيث لا يباح إستغلالها من غير أعضائها [٥٤].

وتنقسم أرض القبيلة إلى عدد من الوحدات الإقليمية المنقسمة، وتعكس كل وحدة

منها نفس بناء ووظائف الوحدة الكبيرة التى هى جزء منها، ولكن الوحدات الصغيرة حين تتحد لتؤلف الوحدة الكبيرة الشاملة لا تفقد شخصيتها الاجتماعية تماماً. وتنقسم العشيرة وكل الزمر الاجتماعية الأخرى التى تقوم على روابط الدم إلى وحدات قرابية منقسمة أيضاً، مما يجعلها تشكل وحدة إقتصادية مستقلة بذاتها. ورغم الإستقلال والذاتية عند النوير، فهناك تعاون وتضافر ومشاركة ومساعدة فيما بينهم خاصة فى أوقات الجفاف والمجاعات وفى الترحال ففى حالة نقص الطعام عند النوير مثلاً ترتفع درجة الإعتماد المتبادل بين الأفراد والجماعات المحلية على شكل هدايا ملزمة [٥٥].

وللماشية أهمية كبيرة عند النوير، ويدلل إيفانزبريتشارد على أهمية الماشية فى حياة النوير بقوله المأثور "فتش عن البقرة" فمنها دفع المهر والدية وهى قربانهم للأرواح ومحط أمانيهم ومحور أحاديثهم ولذلك فللماشية قدرة كبيرة على توحيد كلمة النوير ولها نفس القدرة أيضاً على تفريق هذه الكلمة إلى حد القتال [٥٦].

ومن دلائل هذا الإهتمام بالماشية أنه يوجد عند النوير ما يطلق عليه "رجل الماشية" الذى يشتهر بعلاج الماشية من الأمراض وإخصاب العقيم منها. ويخشى النويرى من رجل الماشية لأن لعنته تنصب مباشرة على ماشيتهم، ومن ثم لا يعمدون الإساءة إليه [٥٧].

ويتميز النوير عن غيرهم من أبناء الجماعات الإثنية الأخرى بأنهم طوال القامة والأطراف، وبأنهم ذات جبهة ضيقة وشعرهم مفلفل وبشرتهم ذات اللون الأسود والبنى النحاسى [٥٨].

ويعرف النوير نظام طبقات العمر الذى يجمع كل ذكور النوير الذين هم فى سن أو طبقة عمرية واحدة من جميع الوحدات الإقليمية للمجتمع والذين يكرسون معاً فى وقت واحد.

ويحمل كل أعضاء الطبقة العمرية الواحدة اسماً مشتركاً يعرفون به ويترتب عليه إنهم يصبحوا ذات مراكز ومناصب اجتماعية واحدة [٥٩] .

ويلعب نظام طبقات العمر دوراً مؤثراً فى حياة النوير، فعندما ينتقل الفتى من مرحلة الصبا إلى مرحلة الرجولة – طبقاً لنظام التكريس – فإن واجباته العائلية وعلاقته الإجتماعية تتغير كثيراً، كما أن سلوكه يتحدد وبشكل دقيق سواء بالنسبة لأقرانة من نفس الطبقة أو بالنسبة للأفراد الآخرين من أعضاء الطبقات الأخرى [٦٠].

ويسود النوير الدين الوثنى فغالبيتهم وثنيون [٦١] .ويوجد عندهم مثل باقى الشعوب النيلية نظام الإنتماء على طوطم واحد، وهو عبارة عن حيوان أو نبات أو

إحدى القوى الطبيعية، ويعتبر أفراد الجماعة المنتمية لهذا الطوطم من سلالته وبالتالى يحملون اسمه. وبذلك يعتبرون إخوة وأخوات يحرم الزواج فيما بينهم بالرغم من أنه قد لا يوجد بين أفراد الطوطم الواحد روابط دموية (٦٢).

وتعترف قبيلة النوير بالأبوة الاجتماعية، فإذا قتل أحد الشباب أحداً ولم يكن متزوجاً يقدم أهل القاتل إلى أهل القتيل – لإتمام الصلح – إحدى بناتهم يزوجوها على اسم القتيل، فيقوم أحد أقارب القتيل العاصبين بالإتصال الجنسى بها بإعتراف الجميع ثم يقر بنسب

الأطفال الذين تنجبهم تلك السيدة إلى اسم القتيل وبذلك يصبحون أبناء شرعيين للشخص المتوفى ويحملون اسمه ويرثون مكانه (٦٣).

الهوامــش

(1) **Susan M. Kenyan:Five women of Sennar. Culture and change in Central Sudan , Claren Don Press , Oxford,1991, P. 28.**

(٢) أحمد عبد الله آدم: قبائل السودان .نموزج التمازج والتعايش شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ،لم يذكر مكان النشر ، ١٩٩٧، ص ٢٨

(٣) نفس المرجع، ص ٢٩

(٤) جعفر حامد البشير: مملكة الجعليين الكبرى. السودان فى القرية والمدينة، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٤، ص ص ١٣١ – ١٣٢

(٥) أحمد عبد الله آدم: مرجع سابق، ص ٣٢

(٦) نفس المرجع، ص ٣١

(٧) و. نكولتر: الشايقية. وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلة من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر،"ترجمة" عبد المجيد عابدين، لم يذكر دار النشر، الخرطوم، ١٩٥٦ ، ص ٩

(٨) أحمد عبد الله آدم: مرجع سابق، ص ٢٠٤

(٩) نسيم مقار: الشايقية فى السودان .شعب وتاريخ ، شركة الإتحادى للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٥

(10) Http://en.wikipedia.org/wiki/shaigiya_tribe

(١١) نسيم مقار : مرجع سابق ، ص ١

(١٢) نفس المرجع ، ص ص ٢٣ – ٢٤

(١٣) أحمد عبد الله أدم: قبائل السودان نموذج التماذج والتعايش، مرجع سابق، ص ص ٢٠٦ – ٢٠٩

(١٤) إسماعيل سليمان على: الزار في مجتمع الشايقية شمال السودان دراسة أنثروبولوجية ، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسة الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢، ص ص ٥٥–٥٦

(15) Http://en.wikipedia.org/wiki/Ta%E2%80%99isha_tribe

(١٦) أحمد عبد الله آدم: مرجع سابق، ص ص ١٨٥ – ١٨٦

(١٧) فرح عيسى محمد: التراث الشعبى لقبيلة التعايشة، سلسلة دراسات فى التراث السودانى العدد "٢٩"، معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٢، ص ٨

(١٨) نفس المرجع، ص ص ١٤ – ١٨

(١٩) أحمد عبد الله آدم: مرجع سابق، ص ص ١٨٧ – ١٨٨

(٢٠) فرح عيسى محمد: مرجع سابق، ص ص ١١٧ – ١٢٣

(٢١) متوكل أحمد أمين: النوبة .التراث والإنسان عبر القرون، لم يذكر دار النشر أو مكان النشر أو سنة النشر، ص ص ١٥ – ١٧

(٢٢) محمد محمود الصياد & محمد عبد الغنى سعودى: السودان. دراسة فى الوضع الطبيعى والكيان البشرى والبناء الإقتصادى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٥٤
(٢٣) محمد عوض محمد: السودان الشمالى سكانة وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٨٤
(٢٤) صلاح الدين على الشامى: السودان .دراسة جغرافية، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، ١٩٦٤، ص ٢٣٠
(٢٥) نفس المرجع ، ص ص ٢٣٠ – ٢٣١
(٢٦) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة فى أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية فى السودان، دار الكتاب الحديث ، الكويت، ١٩٩٤، ص ٢٤
(٢٧) إبراهيم محمد أحمد البلولة: هجرة الفلاتة الوافدة من غرب إفريقيا وأثرها على الخارطة التنموية للسودان . دراسة تطبيقية على ولاية سنار، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أفريقيا العالمية، السودان، ٢٠٠١، ص ٦٦
(٢٨) أحمد عبد الله آدم: مرجع سابق، ص ص ٣٠٨ – ٣١٠
(29) R.S.O'fahey & Jerome Tubiana : Darfur . Historical and contemporary aspects. Http://www.sim.uib.no/darfur/A%20Darfur%20WHOS%20who3.pdf
(٣٠) فضل الله أحمد عبد الله إبراهيم: مفهوم الهوية والصور الدرامية فى شعر محمد عبد الحى. دراسة خاصة فى العودة إلى سنّار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة إفريقيا العالمية، السودان ، ٢٠٠٢، ص ١٧
(٣١) النور عثمان أبكر: جوستاف ناختيفال وتاريخ دارفور ، الشركة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٤١
(٣٢) موسى آدم عبد الجليل: التراث الشعبى لقبيلة الفور، سلسلة دارسات فى التراث السودانى، عدد "٢٣" معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية ، الخرطوم ، ١٩٧٧، ص ص ١ – ٤
(٣٣) محمد إبراهيم أبو سليم: الفور والأرض وثائق تمليك ، إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، العدد "١٨" ، الخرطوم، ٢٠٠٦، ص ١٣
(٣٤) موسى آدم عبد الجليل: مرجع سابق، ص ٢٦
(٣٥) محمد إبراهيم أبو سليم: مرجع سابق، ص ١٧
(٣٦) شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل. حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور للوقت الحاضر، الجزء الأول، لم يذكر مكان النشر، القاهرة، ١٩٦٩، ص٣٢١
(37) David Adolph & Stephen Blakeway : Ethno_ Veterinary knowledge of The Dinka and Nuer in southern Sudan . a study for the Unicef December, 1996 , P.P. 1- 56

(٣٨) فرانسيس دينق: الدينكا فى السودان، "ترجمة" شمس الدين الأمين ضو البيت، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ٢٠٠١، ص ص ١٥ – ١٦

(٣٩) نفس المرجع ، ص ١٦

(٤٠) نفس المرجع، ص ٢٢

(٤١) سعاد شعبان: مربو الحيوان فى أفريقيا، نشرة البحوث والدراسات الإفريقية، العدد "٢٧"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢٠

(٤٢) نفس المرجع ، ص ٢١

(٤٣) سليمان محمد سليمان: الدينكا والنوير، المطبعة العالمية، القاهرة، لم يذكر سنة النشر، ص ٢٠

(٤٤) سعاد شعبان: مربو الحيوان فى أفريقيا، مرجع سابق، ص ٢٣

(٤٥) نفس المرجع ، ص ٢٠

(٤٦) سليمان محمد سليمان: مرجع سابق، ص ١٣

(٤٧) فرانسيس دينق: مرجع سابق،ص ١٦

(٤٨) نفس المرجع ، ص ٢٠٩

(٤٩) سعاد شعبان: مربو الحيوان فى أفريقيا ، مرجع سابق، ص ٢٦

(٥٠) نفس المرجع ، ص ص ٢٦ – ٢٧

(٥١) سليمان محمد سليمان: مرجع سابق، ص ٣٣

(٥٢) محمد السعيد محمود عبد المعاطى: أنساق التبادل عند بعض الشعوب النيلية. دراسة فى الأنثروبولوجيا الإقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢، ص ٧٧

(٥٣) على محمود إسلام الفار: الأنثروبولوجيا الاجتماعية. الدراسات الحقلية فى المجتمعات البدائية والقروية والحضرية ، ط ٥ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٢٨٨

(٥٤) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى . مدخل لدراسة المجتمع، ، الجزء الثانى "الانساق" ، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،١٩٦٧ ، ص ٥١٦

(٥٥) محمد السعيد محمود أبو المعاطى: مرجع سابق، ص ٢٢٠

(٥٦) صلاح الفوال: دراسة علم الإجتماع البدوى، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،لم يذكر سنة النشر، ص ١٠٩

(٥٧) محمد السعيد محمود أبو المعاطى: مرجع سابق، ص ١١٠

(٥٨) سعاد شعبان: مربوا الحيوان فى أفريقيا ، مرجع سابق، ص ٢٧

(٥٩) عادل على مصطفى : العلاقات القرابية فى أفريقيا. دراسة فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية، "فى" الموسوعة الإفريقية ، المجلد الرابع "الأنثروبولوجيا"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٠٩

(٦٠) صلاح الفوال: مرجع سابق، ص ١١٥

(٦١) سليمان محمد سليمان: مرجع سابق، ص ٢٥

(٦٢) محمد السعيد محمود أبو المعاطى:مرجع سابق، ص ١٠١

(٦٣) نفس المرجع ، ص ١٠٠

الفصل الرابع
آليات تشكيل التكيف الثقافي في مدينة سنَّار

يتشكل التكيف الثقافى فى مدينة سنَّار من خلال مجموعة من الآليات تسهم مع بعضها البعض فى عمليات تشكيله.

ويمكن أن نحدد تلك الآليات فى الآتى :-

- **الإتصال الثقافى بين الجماعات الإثنية المتعددة بمدينة سنَّار.**
- **المناشط الاقتصادية القائمة بين أفراد الجماعات الإثنية.**
- **التعليم بما يسهم به بشكل مباشر أو غير مباشر فى تشكيل التكيف الثقافى لدى هذه الجماعات الإثنية المتعددة فى سنَّار .**
- **الضبط الاجتماعى الواقع على تلك الجماعات الإثنية.**

ويمكن أن نتناول ما سبق على النحو التالى بقدر من التفصيل والإيضاح علي النحو التالي :-

أولاً: الإتصال الثقافى بين الجماعات الإثنية المتعددة كأحد آليات تشكيل التكيف الثقافي فى مدينة سنَّار:

يعرف الإتصال الثقافى Cultural contact على أنه تفاعل بين أعضاء جماعتين لكل منهما ثقافته المتميزة. ويؤدى الإتصال الثقافى عادة إلى تعديلات فى الثقافتين، وإن كان ليس من المحتم أن يحدث دائماً طالما أن درجة التأثير المتبادل تختلف من موقف لأخر. فقد تتأثر ثقافته تأثراً عميقاً بالثقافة الأخرى بينما تمارس

الأخرى أثراً طفيفاً على الأولى، أو قد يكون هناك تبادل متعادل للسمات الثقافية بين كليهما.

أما التعديل الذى يطرأ على ثقافة معينة نتيجة لإتصالها بالثقافة الأخرى، فهو غالباً ما يعتمد على الإتصال بين الأفراد أنفسهم، ويمكن أن يحدث الإتصال الثقافى من خلال التجارة أو الهجرة أو الحروب أو البعثات التبشيرية .... إلخ[١].

ومدينة سنَّار تعد بمثابة بوتقة مكانية للإتصال الثقافى بين مختلف الجماعات الإثنية المتواجدة على أراضيها منذ نشأتها وحتى وقتنا هذا. فمدينة سنَّار تنقسم – كما ذكرت سابقاً – إلى ثلاثين حى، غير متساوية فى أعداد سكانها أو فى التنوع الإثنى بها. يضاف لذلك أنها ليست كلها أحياء سكنية، تم إقامتها بغرض السكن مثل حى الموظفين والشرطة، والذى يوجد بها الأبنية الخدمية والشرطية .

وتتميز هذه الأحياء بالإنسجام فيما بينها، من النواحى الجغرافية المختلفة. فهى أحياء متلاصقة مع بعضها البعض، فلا توجد عوائق طبيعية مثل الغابات أو المستنقعات .... إلخ.

مما ساعد على سهولة الحركة بين أفراد الجماعات الإثنية المختلفة، وبالتالى زيادة الإتصال الثقافى بين هذه الجماعات.

ومن الجدير بالذكر أن مدينة سنَّار تتوفر بها مجموعة من الخدمات الهامة والداعمة بشكل أو بأخر فى عملية الإتصال الثقافى، مثل الراديو والتلفاز، وشبكة من الطرق سواء الأسفلتية أو الحديدية، وشبكات للهواتف النقالة. والتى يمكن أن نتناولها على النحو التالى:

١- الراديو والتلفاز:

يعد الراديو أو المذياع من الوسائل الهامة فى عملية الإتصال، حيث مكن الراديو المجتمعات الإنسانية من التواصل مع بعضها البعض من خلال إرسال الصوت والبرامج الدينية والإخبارية والحوارات والمقابلات مع الشخصيات المختلفة ... إلخ[٢].

كما يعد التلفاز هو الأخر من الوسائل الهامة فى عملية الإتصال فى العالم ككل، وفى السودان تم إنشاء التليفزيون سنة ١٩٦٢ فى خضم مناخ التحرر الوطنى والصحوة الثقافية والحاجة إلى خطاب إعلامى قومى[٣].

ومن الجدير بالذكر أن تأثير الراديو والتلفاز على الجماعات الإثنية الموجودة فى مدينة سنَّار، لم يكن له التأثير الكبير فى ظل البث التقليدى من خلال الوسائط الأرضية التى كانت موجودة فى تلك الفترة، فلم تكن إشارات البث تستطيع أن تغطى كل مناطق السودان ومنها سنَّار، لكن فى الوقت الراهن، وفى ظل وجود الأقمار الصناعية، ورخص ثمن أجهزة "الريسيفر" لتلك الأقمار الصناعية أصبح فى غالبية بيوت أفراد الجماعات الإثنية المنتشرة فى مدينة سنَّار تلفاز وجهاز "ريسيفر" يستطيع من خلالهم الإنفتاح على العالم بأكمله، وليس السودان فحسب. مما سهل فى عمليات الإتصال الثقافى، والإنفتاح على ثقافات أخرى مغايرة لتلك الثقافات الإثنية الموجودة فى مدينة سنَّار.

٢- الهواتف النقالة.

تمثل الهواتف النقالة طفرة فى وسائل الإتصال عامة والإتصال الثقافى خاصة. وذلك لقدرته على كسر الحواجز المكانية بين الأفراد بشكل عام، فيستطيع أى فرد من أفراد الجماعات الإثنية من خلال تلك الهواتف التحدث مع غيره من الأفراد، سواء أقاربه أو جيرانه أو أصدقائه فى العمل ... إلخ دون الحاجة إلى الانتقال الفيزيقى للفرد ذاته والتحدث وجهاً لوجه. مما زاد من عملية التفاعل الاجتماعى بين الأفراد.

وتتميز مدينة سنَّار بوجود العديد من شبكات الهواتف النقالة علي أراضيها ، مثل الشركة السودانية للهواتف النقالة سوتاتل وشركة أريبا وشركة زين وشركة كنار، ويوجد لكل من هذه الشركات أبراج تغذية، لتغذية شبكات الهواتف."أنظرالصورة رقم ١"



صورة رقم (١)
أحد مباني الشركة السودانية للهاتف النقال " سوتاتل "
ويوجد بداخلها أحدأبراج تغذية الشبكة في مدينة سنَّار

ويضاف لذلك سهولة إقتناء الهواتف ذاتها أو الخطوط الخاصة بالهاتف النقال، لرخص ثمنها، مما ساعد على انتشارها بشكل كبير بين مختلف أفراد الجماعات الإثنية فى مدينة سنَّار.

٣- وسائل النقل المتعددة:

للنقل أهمية عظمى فى جهود عملية التنمية عامة والتنمية الإقتصادية خاصة فى أى دولة من الدول، بل وداخل أى مجتمع من المجتمعات سواء بدائية أم متقدمة.

فالنقل بوسائله المختلفة من أهم وسائل تنشيط التبادل التجارى محلياً أو إقليمياً سواء كان ذلك من خلال تبادل السلع والبضائع أو حركة وتنقلات الأفراد. فالنقل جزء هام من أى نشاط إنتاجى داخل أى مجتمع(٤).

وما يهمنا هنا هو شبكة المواصلات الداخلية داخل مدينة سنَّار ذاتها أو الرابطة بين المدينة وغيرها من المدن السودانية الأخرى، وخاصة وسائل نقل الركاب، فيوجد فى المدينة العديد من وسائل نقل الركاب، سواء السيارات الخاصة، وهى قاصرة على الأثرياء من أبناء القبائل المختلفة فى مدينة سنَّار.

ويوجد سيارات أجرة متعددة سواء سيارات صغيرة أو أتوبيسات .... إلخ. كما تستخدم الدراجة البخارية أيضاً فى عملية التنقل. " أنظر الصورة رقم ٢ "



صورة رقم (٢)

أحد مواقف سيارات الأجرة بين مدينة سنَّار والمدن الاخري

ويظهر في الصورة حداثة السيارات المستخدمة في نقل الركاب

وكان لهذه الوسائل وغيرها أثره البالغ فى تقريب المسافات بين أفراد الجماعات الإثنية ذاتها أو غيرهم من الجماعات الأخرى.

سواء داخل المدينة أو خارجها. مما زاد بشكل ملحوظ من عملية التفاعل الاجتماعى فيما بينهم نتيجة زيادة الإتصال والاحتكاك الثقافى بين الأفراد.

ومن الجدير بالذكر أنه إذا كان الإتصال الثقافى ضرورى لحدوث التكيف الثقافى، لكنه فى ذات الوقت غير كاف لحدوث هذا التكيف. فالإتصال قد يترتب عليه انتشار أو إنتقال بعض السمات الثقافية، لكنه لا يرقى إلى مستوى التكيف الثقافى، إلا إذا أصبح مجال التفاعل بين الأفراد الذين ينتمون إلى الثقافات المختلفة من السعة والعمق بحيث يمتد ليشمل جوانب من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتى قد تتيح الفرصة مع مرور الوقت لقيام علاقات شخصية وثيقة كالتزاوج أو الصداقة أو الجيرة أو بمعنى آخر إذا اتسع مجال التفاعل وأتاح الفرصة لإكتساب خصائص أو سمات ثقافية مغايرة سواء تلك التى يمكن اكتسابها بسهولة

كالملبس واللهجة أو اللغة والمكونات الغذائية أو تجاوزتها إلى السمات غير المنظورة كتنمية مشاعر واتجاهات وأهداف مشتركة. فى هذه الحالة يمكن القول بأن الإتصال الثقافى فى طريقه إلى التكيف الثقافى.

فإذا ما ارتفعت معدلات حدوث التزاوج أو الصداقة أو الجيرة أمكن القول أن ثمة اتجاهات نحو التكيف الثقافى، فى حين أن إختفائها يعنى أن العلاقات ليست من السعة بالقدر الذى يحقق هذا التكيف.

ولا يعنى هذا عدم قيام نوع من التكيف الثقافى بالتبعية، فلا شك أن الإتصال الدائم والمتكرر بين جماعتين، حتى وإن اقتصر على تبادل مصالح خاصة، أو اتخذ بعض الإجراءات الضرورية الكفيلة بتحقيق نوع من الأمان لأحدى هاتين الجماعتين أو لكليهما.

أو لتحقيق نوع من التوافق مع النظام السائد أو الأوضاع المتباينة وهنا يمكن أن يحدث

نوع من التكيف التلقائى(٥).

ثانياً: المناشط الإقتصادية بين الجماعات الإثنية كأحد آليات تشكيل التكيف الثقافي فى مدينة سنَّار:

يكتسب النشاط الإقتصادي أهمية خاصة، لما يلعبه من دور كبير فى حياة الشعوب لأنه لا يستطيع أى مجتمع أن يعيش ويستمر فى الحياة بدون القيام بأنشطة إقتصادية تساعده على البقاء.

ويقصد بالنظم الاقتصادية عموماً دراسة الجوانب الواسعة للنشاط الإنسانى الذى يهدف إلى الاستفادة من الموارد والإمكانيات المتاحة وتنظيم الحصول عليها بأى وسيلة مشروعة لمقابلة الحاجات البشرية.

ويجمع علماء الأنثروبولوجيا على أن أى مجتمع – مهما كانت بساطته – يوجد به شكل أو أخر من التنظيم يعمل على استغلال الموارد لإشباع حاجات أفراد المجتمع، وأن هذا التنظيم الإقتصادي جزء من التنظيم الاجتماعى، ويرتبط به ارتباطا وثيقاً(٦).

وتعد المجتمعات الإفريقية مثالاً واضحاً للتعدد وتنوع المناشط الاقتصادية حيث لا يوجد نظام واحد يصدق عليها جميعاً، وإنما توجد نظم كثيرة ومختلفة تبعاً لاختلاف وسيلة العيش فهناك جماعات لا تزال تعيش إلى الآن على الجمع والالتقاط مثل أقزام مبوتى – Mouti فى الكونغو، وجماعات تعتمد على القنص مثل البوشمن فى صحراء كلهارى، وجماعات تعيش على رعى الأبقار مثل القبائل النيلية كالنوير والدينكا والشيلوك وغيرها، أو على رعى الأغنام والإبل مثل البدو الرحل فى شمال إفريقيا والصومال وغرب السودان، ثم هناك جماعات كثيرة تعيش على صيد السمك كما هو الحال فى القبائل التى تعيش بالقرب من الأنهار وسواحل البحار والبحيرات فى سواحل أفريقيا.

وهناك مجتمعات تعتمد على الزراعة البسيطة سواء كانت زراعة مستقرة أو متنقلة. وهذا لا ينفى بالطبع وجود أكثر من نمط إقتصادى واحد جنباً إلى جنب فى نفس المجتمع(٧) كما هو الحال فى مدينة سنَّار والتى تتعدد بداخلها المناشط الاقتصادية لأفرادها فهناك مناشط إقتصادية ترتبط بالعمل فى المنشأت والهيئات الحكومية المختلفة الموجودة داخل المدينة. كما يقوم بعض الأفراد بأعمال حرة

متنوعة مثل قيادة الحافلات وأعمال النظافة والحياكة وعمل الأثاث وعمل الطوب والبناء ... إلخ.

هذا بالإضافة إلى مجموعة الأعمال الأخرى مثل العمل بالتجارة والرعى والزراعة.

ويمكن أن نتناول كل من هذه المناشط وأثرها علي تشكيل التكيف الثقافي في مدينة سنَّار، بقدر من التفصيل على النحو التالى:

١- الأعمال الحكومية :

مصطلح الحكومة يعنى الأنشطة أو العمليات المتصلة بالحكم ،أى ممارسة الضبط على الآخرين، أو توجيههم للقيام بأنماط سلوكية معينة. وقد تعنى أيضاً الأداة التى تقوم بمتابعة هذه الأنشطة. أو هى الهيئة المركزية أو "الكل المعقد" الذى يتكون من التنظيمات المرتبطة التى تمارس الرقابة الشاملة على مجتمع معين أو قسم محدد فيه[٨] .

ويضاف إلى ما سبق الهيئات الخدمية المختلفة مثل التعليم والصحة والسكك الحديدية ومحطات الكهرباء والمياه .... إلخ.

والتى تخضع ملكيتها للحكومة وتقدم خدمات لأفراد المجتمع ويندرج العامل بها ضمن العاملين بالحكومة.

وتعد مدينة سنَّار جزء من الهيكل الإدارى العام لولاية سنَّار.

لذا يتواجد على أراضيها العديد من الجهات الحكومية المتعددة، والتى تخدم أبناء مدينة سنَّار والقرى المحيطة بها. فيوجد غالبية الإدارات الحكومية الخاصة بمحلية سنَّار في مدينة سنَّار علي اعتبار أنها عاصمة المحافظة.

ويعمل بالجهاز التنفيذى – كما أشرت سابقاً – العديد من الموظفين والعمال.

كما يوجد قسم شرطة فى المدينة يعمل به العديد من الضباط والأفراد بالإضافة إلى العاملين فى الخدمات الطبية المختلفة بالمدينة سواء فى المستشفيات أو الوحدات الصحية من أطباء وأطقم تمريض وأفراد أمن وخدمات معاونة وغيرهم.

ويتوقف العمل فى هذه الهيئات والإدارات على مستوى التعليم والقدرة على إجتياز الإختبارات التى قد توضع لهذا الغرض. دون النظر إلى إعتبار الإنتماء الإثنى لجماعة إثنية معينة داخل المدينة.

٢- الرعى :

الرعى نظام إقتصادى إجتماعى، وهو مرتبط إرتباطاً وثيقاً بالنباتات الطبيعية الملائمة لحيوان الرعى، فالحيوانات العاشبة ترعى فى أقاليم الحشائش ، سواء أكانت حشائش حارة "سافانا" أم حشائش معتدلة أو باردة "استبس". ولا توجد حرفة الرعى مطلقاً فى أى إقليم من أقاليم الغابات سواء كانت حارة أو معتدلة أو باردة[٩] .

وكان لموقع ولاية سنَّار بين دائرتى عرض ١٢.٥، ١٤.٧ درجة شمال وخطى طول ٣٢.٥٨ ، ٣٥.٤٢ شرقاً أثره الواضح فى تحديد الطبيعة النباتية والمطرية لإقليم سنَّار ككل، حيث يتميز الإقليم بمناخ قارى ذو فصلين جاف وممطر. وتقع

أجزاء الولاية الشمالية فى حزام السافانا الفقيرة، والذى تتراوح معدلات الأمطار فيه بين ٤٠٠ – ٦٠٠ ملم. بينما تقع الأجزاء الجنوبية فى حزام السافانا الغنية والتى يصل معدل أمطارها نحو ٨٠٠ ملم/ العام(١٠).

ووفقاً للخريطة العامة لولاية سنَّار يتضح موقع مدينة سنَّار بأنها تتوسط تقريباً الولاية من حيث الموقع الجغرافى. مما يمكن معه القول بأنها تقع فى المنطقة الوسط بين السافانا الفقيرة والغنية بالولاية.

وكان لهذه الطبيعة النباتية الموجودة فى ولاية سنَّار أثره على الثروة الحيوانية في الولاية. والتى بلغ حجمها إلى حوالى ٣.١٠ مليون رأس موزعه وفقاً للآتى :

مسلسل	النوع	الكمية بالرأس
١	أبقار	١.١٣٥.٠٠٠
٢	ضأن	٩٦١.٠٠٠
٣	ماعز	٦٢٠.٠٠٠
٤	إبل	٣٧١.٠٠٠
الإجمالـى		**٣.٠٨٧.٠٠٠**

(١١)

ووفقاً للجدول السابق يلاحظ الزيادة فى أعداد الأبقار عن غيرها وخاصة الجمال، وذلك بخلاف الضأن والماعز الذى يمكن تربيته مع الأبقار والسير معاً فى أسراب رعى الأبقار على السواء.

ومن الجدير بالذكر أن مهنة الرعى فى مدينة سنَّار، لا تعد مهنة قائمة بذاتها بالنسبة للجماعات الإثنية المتعددة والمنتشرة فى المدينة.

فلا يوجد جماعة إثنية قائمة بذاتها تمتهن هذه الحرفة فقط، ولكن يتوزع أفراد الجماعة الإثنية بين العمل بالأعمال الحكومية المختلفة والرعى والزراعة، فمن الممكن أن يقوم ذات الفرد – رب الأسرة – بإمتلاك مجموعة من رؤوس الأبقار ويعمل بالحكومة فى ذات الوقت حيث يقوم أحد أبنائه بعملية الرعى ويشاركه فى ذلك باقى أفراد الأسرة بما فيهم رب الأسرة ذاته كلما أتيح له ذلك.

وتتم عملية الرعى فى مراعى قريبة من المدينة، وذلك للطبيعة النباتية الغنية في نطاق ولاية سنَّار. "أنظر الصورة رقم ٣ "



صورة رقم (٣)

قطيع من الأبقار أثناء رعية في إحدي مناطق الحشائش بمدينة سنَّار

وتتيح عملية الرعى التنقل من مكان لأخر، والإلتقاء بأفراد أخرين من جماعات إثنية أخرى يتبادل الفرد فيها خبراته وذكرياته مع غيره من أبناء الجماعات الإثنية الأخرى.

ولا يعنى ما سبق أن حرفة الرعى فى مدينة سنَّار حرفة بسيطة أو قليلة الأهمية فى إقتصاد المدينة. بل تعد من الأنشطة الاقتصادية الهامة والتى تحظى بإهتمام حكومى ملحوظ، فيوجد مستشفى سنَّار البيطرى الذى يمكن أن يستقبل كل الحالات المرضية، ويوفر الأدوية والمعدات بجانب الحجز الطبى للحيوان المريض.

ويضاف إلى تلك المستشفى العديد من الوحدات البيطرية المتحركة والتى تهدف إلى:

- تغطية البلاغات الخاصة بالأمراض الوبائية.
- العمل الإرشادى وتوعية الرعاة والاهتمام بشئون الرحل [١٢].

٣- الزراعة :

الزراعة هى عملية إنتاج الغذاء، العلف، والألياف وسلع أخرى عن طريق التربية النظامية للنبات والحيوان.

والزراعة قد تكون زراعة معيشية وهى التى يقوم بها المزارع الذى يزرع الأرض بمدخلات موارد محدودة، وينتج غذاء يكفيه هو وعائلته فقط.

وهنك الزراعة التجارية المكثفة والتى تشمل الزراعة الصناعية وهى تلك التى تتضمن حقول كبيرة ومدخلات موارد كبيرة ومستوى عال من الميكنة. وهذه العمليات عامة تحاول أن تعظم الدخل المالى من المحاصيل (١٣).

وتلعب جغرافية الأماكن من حيث الموقع والمناخ والتضاريس والموارد الطبيعية دوراً أساسياً فى هذه الأنواع من الزراعة.

ومنطقة سنَّار تزخر بصفة عامة بالأراضى الشاسعة الخصبة والسهول الفيضية، وفى معظم أجزائها تتوافر المساحات الواسعة للمراعى والزراعة. وتتمتع المنطقة عموماً بوفرة المصادر المائية من النيل الأزرق ونهر الدندر وما يسقط من أمطار موسمية (١٤).

وتقع معظم أراضى ولاية سنَّار فى السهل الطينى الوسط، وهى بذلك تعد تربة طينية يبلغ فيها نسبة الطين حوالى ٧٠%، وهى عبارة عن سهول منبسطة وشبه منبسطة تنحدر قليلاً ناحية الشمال، والسطح فيها مستوى (١٥).

وكانت الزراعة فى الفترة السِنَّارية القديمة، من دعائم الإقتصاد السنَّارى آنذاك داخل السلطنة السِنَّارية. والتى يمكن تقسيم الأراضى الزراعية بداخلها إلى ثلاث نطاقات جغرافية – إقتصادية هى:-

- **النطاق النيلى:** ولم يكن يمتد كثيراً على جانبى النيل الأزرق والأبيض ونهر النيل، لقصور وسائل الرعى فى تلك الحقبة.
- **النطاق الريفى:** بعيداً عن نهر النيل فى المناطق الى تسمح فيها الأمطار بقيام استقراء فردى يعتمد فيه الإقتصاد المحلى على الزراعة الموسمية وتربية الحيوانات المنزلية.
- **النطاق البدوى:** فى المناطق ضعيفة الأمطار، حيث تنتقل المجموعات الرعوية بقطعانها فى إطار منطقة واسعة تعرف غالباً بدار القبيلة(١٦).

أما حديثاً ووفقاً للتقديرات الموجودة فى الجهاز التنفيذى لمحلية سنَّار، فيوجد بالمحلية ذاتها أكثر من ٢ مليون فدان صالحة للزراعة. المستغل منها حالياً مليون ومأتين ألف فدان.

وتوجد أعداد هائلة من الجنائن، كما توجد بعض المؤسسات الزراعية العملاقة مثل مؤسسة السوكى الزراعية.

وتعد الذرة وقصب السكر والقطن وزهرة الشمس والقمح والدخن والذرة الشامية من أهم المنتجات الزراعية فى مدينة سنَّار كما تعد المانجو والجوافة والليمون والموز من أهم الحاصلات البستانية هناك(١٧).

وتوجد في مدينة سنَّار مساحات شاسعة من الأراضى الزراعية المتاخمة للأحياء السكنية الموجودة بالمدينة، والتى يعمل بها الكثير من أبناء الجماعات

الإثنية المختلفة والمنتشرة داخل المدينة، فالزراعة فى مدينة سنَّار غير قاصرة على جماعة إثنية بذاتها كما هو الحال فى حرفة الرعى. بل إن البيت الواحد قد يوجد بداخله من يعمل بالحكومة وأخرون بالرعى والزراعة .... إلخ.

ومن ثم لا توجد نطرة إستعلاء أو دونية لأى فرد من الأفراد الذين يعملون بمهنة الزراعة داخل مدينة سنَّار.

٤- التجارة :

التجارة بالإنجليزية هى Trade وهى التبادل الطوعى للبضائع أو الخدمات أو كليهما معاً.

والمدلول الإقتصادي لكلمة تجارة ينصب على عملية الوساطة والتوسط بين منتج ومستهلك[١٨].

وكانت التجارة بشقيها المحلى والدولى من الظواهر المعروفة فى إقتصاديات وسط وشمال السودان، منذ أقدم العصور التاريخية. غير أنها كانت تتقلص وتتدهور متأثرة بتدهور الممالك وتراجع المراكز الحضرية والتجمعات السكانية، ثم تعود وتزدهر بإزدهار هذه الممالك والمراكز.

ولقد إرتبط الإزدهار التجارى فى الفترة السينَّارية بتحولات عالمية ميزت المراحل الأخيرة من عالم العصور الوسطى. وقد إرتبطت التجارة عبر جانبي الصحراء

الكبرى فى الشمال والجنوب، منذ القرن السادس عشر الميلادى، بإزدهار الإمبراطوريات الإقطاعية التجارية مثل البرتغال وأسبانيا والإمبراطورية العثمانية، وما صاحب ذلك من تطور الشبكة التجارية للعالم ككل والتى شملت أفريقيا والعالم العربى ومناطق أخرى.

وترتب على تطور تلك الشبكة ما يسمى بالطرق التجارية، فكانت هناك منافذ خارجية للتجارة من وعبر سلطنة سنَّار، وهى تمثل فى ذات الوقت المداخل التجارية لهذه السلطنة.

وتتمثل هذه المداخل فى سواكن على البحر الأحمر، وطريق دنقلا – أسوان فى الشمال، والطريق الغربى المعروف بدرب الأربعين وهو يمتد من مراكز على النيل مثل دنقلا أو شندى إلي كردفان ودارفور ثم إلى وسط وغرب إفريقيا، حتى تمبكتو على المحيط الأطلسى. هذا بالإضافة إلى الطريق الجنوبى الذى يمتد عبر النيل الأزرق بإتجاه الجنوب الشرقى من سنَّار ثم يتعرج صوب الشمال الشرقى فى الأراضى الحبشية حتى يصل مصوع وغيرها من موانئ البحر الأحمر بما فى ذلك سواكن.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الطرق البرية الرئيسية تغذيها أعداد كبيرة من الطرق الفرعية، التى تصل بين مختلف المدن والقرى الكبيرة فى أراضى السلطنة(١٩).

ونظراً لهذا الإزدهار التجارى الكبير التى تمتعت به مدينة سنَّار إبان سلطنة الفونج، كان يخرج من سنَّار قافلة كل ستة أسابيع أو شهرين على الأكثر، وكانت هذه القافلة تزخر بالعديد من أصناف السلع والبضائع، وكانت تختلف القوافل فى أحجامها حسب ما تحمله من سلع، فى كل مرة.

وكانت قافلة سنَّار تجلب إلى مصر العاج والتمرهندى والجلود والصمغ العربى وريش النعام والذهب. وكان أهم ما تحمله قافلة سنَّار من سلع مصرية يتمثل فى المنسوجات على إختلاف أنواعها سواء قطنية أو كتانية، هذا بالإضافة إلى السلع الأوربية مثل أدوات الزينة والحلى الزجاجية والأسلحة والحرير ..... إلخ [٢٠].

ومن الجدير بالذكر أن مدينة سنَّار ما زالت حتى وقتنا الحاضر تمثل دور كبير فى الحركة التجارية فى السودان عامة وولاية سنَّار خاصة فهى المدينة التجارية الأولى على مستوى الولاية[٢١].

فيوجد فى مدينة سنَّار حالياً سوق تجارى كبير يعمل يومياً. ويوجد به العديد من التجار، الذين يقدموا سلعهم للمترددين عليهم." أنظر الصورة رقم ٤ "



صورة رقم (٤)

أحد تجار الأسماك في سوق سنَّار الكبير ، أثناء عرضة لإحدي الأسماك قام بعض أبنائة بإصطيادها من النيل الأزرق

وتبرز أهمية النشاط التجارى فى كونه من آليات تشكيل التكيف الثقافى لمدينة سنَّار على النحو التالى:-

أولاً: فيما يتطلبه النشاط التجارى من عملية نقل وترحال من مكان لآخر سواء لشراء السلع أم لبيعها، ومن ثم ضرورة وجود طرق ونوافذ تجارية متعددة وطرق لمرور هذه التجارة. وبالتالى يصبح هناك حاجة للتعرف والتعامل مع أفراد أخرين من جماعات إثنية أخرى، يتم التأثير فيهم والتأثر بهم ثقافياً مما يرسخ فكرة ضرورة تقبل الأخر والتعامل معه، حتى وإن كان هذا الأخر من جماعة إثنية إخرى.

ثانياً: تتم العملية التجارية فيما يعرف ب "السوق"، والسوق فى مدينة سنَّار من أكبر الأسواق التجارية فى السودان عامة وسنَّار خاصة، والذى يعد بدوره ملتقى كبير لمختلف الجماعات الإثنية فى هذه المدنية وغيرها من المناطق الأخرى سواء لغرض الشراء أم البيع، ويتم ذلك دون أى تفرقة أو تمييز، فالنشاط التجارى غير قاصر على جماعة إثنية دون الأخرى.

ثالثاً: التعليم كأحد آليات تشكيل التكيف الثقافي فى مدينة سنَّار:

كلمة تعليم فى المعجم الوجيز تأتى فى الأساس من الفعل "عَلِمَ" فيقال عَلِمَ فلان الشئ أى عرفه، وتَعَلّمَ الأمر أى عرفه وأتقنه[٢٢].

ويعتبر التعليم من الآليات الأساسية فى نقل المحتوى الثقافى والمعرفى والعلمى من جيل لآخر داخل أى مجتمع، لضمان إستمراره وتطوره معتمداً فى ذلك على

العديد من الوسائل والإمكانيات المساعدة للقيام بهذه العملية التعليمية، ووفقاً للغرض منه داخل كل مجتمع.

فنجد أن طبيعة التعليم والغرض منه والوسائط الناقلة لمحتوى ومضمون العملية التعليمية ذاتها تختلف فى المجتمعات المتقدمة عنه فى المجتمعات النامية.

والتعليم فى مدينة سنَّار مر بمراحل متعددة، يمكن وصفها فى البداية بالبسيطة والعشوائية ثم بالنظامية والممنهجة فيما بعد. شأنه فى ذلك شأن العملية التعليمية فى مختلف أنحاء السودان.

فالتعليم فى ظل السلطنة الزرقاء لم يكن تحت إشراف مصلحة حكومية أو إدارة نظامية مسئولة، وإنما كان التعليم إختيارياً وأهلياً تديره الجماعات والأفراد تطوعاً وإحساناً

، ويرحل إليه الطلاب من أقاصي البلاد (٢٣).

أما جهد الدولة فقد كان يتمثل فيما يقدمه ملوك سنَّار من إعفاء المساجد والخلاوى وما يتبعها فى أراضى وماشية من الضرائب تشجيعاً لهم على مواصلة نشر العلم. يضاف لذلك ما كان يتلقاه الشيوخ من هبات وزكاة وغيرها من زوى الإحسان من الملوك ومن الأغنياء ومن الأفراد والقبائل، فينفقونها على الخلاوى والمساجد التى كانت تؤوى جماعات من التلاميذ (٢٤).

أما التعليم فى الوقت الراهن فى سنَّار، أخذ الشكل المؤسسى النظامى المنهجى، وذلك لكون مدينة سنَّار من الناحية الإدارية، جزء من الدولة السوادنية، وتخضع لسيادة هذه الدولة.

فالتعليم فى الدستور السودانى الحالى، حق لكل مواطن ، وعلى الدولة أن تكفل الحصـول عليـه دون تمييـز علـى أسـاس الـدين أو العنصـر أو العـرق أو النـوع أو الإعاقة[٢٥] .

وهـذا مـا لاحظـه الطالـب فـى مجتمـع الدراسـة، حيـث لا يقتصـر الإلتحـاق بالمدارس على أبناء قبائل بذاتها فى مدينة سنَّار، فأبواب المدارس مفتوحة لكل أبناء القبائـل السـودانية فـى مدينـة سنَّار سـواء مـن العـرب او الجنـوبيين أو غيـرهم علـى السواء." أنظر الصور ٥ & ٦ "



صورة رقم (٥)

مدرسة لواء الإسلام لمرحلة الأساس بحي الجنينة بسنَّار



صورة رقم (٦)

إحدي الصبية من النوير أمام مسكنهم بحى الجنينةبعد عودتهما من المدرسة ، وهما مرتديان زي المدرسة

❖ ويتكون السلم التعليمى الحالى من ثلاث مستويات.

- **المستوى الأول:** هو مرحلة التعليم ما قبل المدرسة، ويتكون من رياض الأطفال، ومراكز الرعاية النهارية للأطفال، ويتم تسجيل الأطفال فيه ابتداء من سن الثالثة أو الرابعة وحتى سن السادسة ومدة هذه المرحلة سنة أو سنتين حسب رغبة أولياء الأمور.

- **المستوى الثانى:** وهو مرحلة الأساس، ويبدأ بالصف الأول فى سن ٦ – ٧ وحتى الصف الثامن، ويتزايد حجم المادة التعليمية والموضوعات الأكاديمية فيها سنوياً، وفى نهايتها عند سن ١٣ – ١٤ سنة يكون الفرد فى هذه المرحلة قد تهيأ للجلوس لشهادة امتحان دخول المدرسة الثانوية.

- **المستوى الثالث:** وهو مرحلة المدرسة الثانوية المتعددة التخصصات والمجالات والموحدة الشهادة "أكاديمية"، فنى ، دينى" ويحتوى هذا المستوى من الدراسة على أساليب دراسية أكثر تطوراً، إضافة إلى بعض المواد الأكاديمية الرئيسية مثل علوم الكيمياء والأحياء والفيزياء والجغرافيا وغيرها، وتمتد الدراسة فيه إلى ثلاث سنوات، وتتراوح أعمار الطلبة ما بين ١٤ – ١٥ إلى ١٧ – ١٨ سنة.

وإلى جانب هذه الأنواع من المدارس توجد معاهد ومدارس أخرى حكومية موازية للسلم التعليمى النظامى الرسمى مثل المعاهد الدينية والحرفية والصناعية ومراكز التدريب المهنى [٢٦].

ومن الجدير بالذكر أن التعليم فى المستوى الأساسى أو كما يطلق عليه فى بعض الأحيان بالتعليم الإلزامى توفره الدولة بالمجان للمواطنين السودانيين فى مختلف أرجائها [٢٧].

ويوجد فى ولاية سنَّار حوالى ٥٠٠ مدرسة أساسى، و ٨٥ مدرسة ثانوية لتستوعب حوالى ١٦٣.٥٠٠ طالب وطالبة.

يضاف لذلك وجود جامعة سنَّار والتى تعد من إحدى مكتسبات ولاية سنَّار، والتى تم إفتتاحها فى عام ١٩٩٢، وتحتوى على كليات الطب والهندسة والعلوم الإسلامية والعربية والزراعة والموارد الطبيعية والتربية [٢٨].

وتأتى أهمية التعليم كأحد آليات تشكيل التكيف الثقافى فى مدينة سنَّار على النحو التالى :

أولاً: اللغة كأداة ناقلة للمحتوى التعليمى:

فاللغة هى وسيلة التواصل بين الأفراد مع بعضهم البعض، وهى الأداة الناقلة للمحتوى التعليمى والمعرفى والثقافى لأى مجتمع من المجتمعات .

ولقد دخلت اللغة العربية السودان بصورة ملموسة عن طريق البدو، فى الفترة من القرن السابع وحتى القرن السادس عشر الميلادى، عبر بلاد النوبة والبجا، وقد استقر هؤلاء العرب وتزاوجوا مع سكان وادى النيل الأصليين. ومن ثم أصبحت اللغة العربية هى اللغة الأم للمجموعات التى نتجت عن هذا المزج العربى الإفريقى بعد اعتناقهم الإسلام. ثم توغل العرب إلى الداخل ونحو الأطراف وتحالفوا مع الفاعليات السياسية المحلية وتزاوجوا منها، وانتهى كل هذا بقيام السلطنات الإسلامية[٢٩] .

وليس معنى ذلك إندثار اللغات المحلية الأخرى لدى هذه الجماعات الإثنية، لكن من المعروف فى قوانين اللغات أنه إذا نزح غزاة أو مهاجرون إلى بلد ما، اشتبكت لغتهم بلغة المحليين فى صراع قد يؤدى إلى انتصار إحدى اللغتين على الأخرى، فتصبح لغة جميع السكان، كما قد يؤدى ذلك إلى بقاء إحداهما إلى جانب الأخرى وقتاً طويلاً.

وهذا ما حدث فى مدينة سنَّار، حيث أصبحت اللغة العربية هى اللغة السائدة لكل أفراد هذه الجماعات، خاصة فى الحياة اليومية ومجال المعاملات والتعليم وما إلى ذلك، وإن كان لأى من هذه الجماعات لغته المحلية الخاصة به كجماعة إثنية، فإنه يستخدمها فى نطاق جماعته الإثنية فقط.

وتعد اللغة العربية هى اللغة السائدة والأساسية فى مدينة سنَّار فى العملية التعليمية. وذلك على الرغم من وجود جماعات إثنية جنوبية مثل النوير والدينكا بالإضافة إلى جماعات غرب السودان مثل قبائل الفور.. ويلتحق أبنائهم في العملية التعليمية، ولذا يعد من الضرورى تعلم اللغة العربية إذا ما رغب الفرد في الإلتحاق بالعملية التعليمية

وكان لذلك أثره الواضح فى خلق جسور من الترابط والتفاهم المشترك بين أفراد الجماعات الإثنية المتعددة فى مدينة سنَّار، حيث لعبت اللغة العربية الدور البارز فى ذلك، وذلك عبر المراحل المتعاقبة فى تلك المنطقة التاريخية العريقة والتى يفوح عبق التاريخ من مختلف أرجائها.

ثانياً: التعليم كمعيار لشغل الوظائف الحكومية فى مدينة سنَّار.

يعد التعليم معياراً أساساً وهاماً فى شغل الوظائف فى المدينة، خاصة التعليم الرسمى، الذى يعطى شهادات معتمدة عند إجتياز الإمتحانات المقررة لهذا الفرض. وذلك لإرتباط العديد من الوظائف بمستويات معينة من التعليم مثل التدريس والهندسة والطب والوظائف الإدارية المختلفة، دون أى إعتبار إثنى.

ومن ثم يصبح التعليم عاملاً أساسياً ومشتركاً بين الأفراد المنتمين لنفس العمل الوظيفى فى خلق روابط إجتماعية تساعد فى عملية التكيف الثقافى للأفراد داخل مدينة سنَّار.

رابعاً: الضبط الاجتماعى كأحد آليات تشكيل التكيف الثقافي فى مدينة سنَّار:

يستخدم مصطلح الضبط الاجتماعى للإشارة إلى أن سلوك الفرد وأفعاله محددة بالجماعات وبالمجتمع المحلى والمجتمع الكبير الذى يعد عضواً فيه.

ومن أقدم تعريفات الضبط الاجتماعى التعريف الذى قدمة روس G.A. Ross بأن الضبط الاجتماعى هو "السيطرة الاجتماعية المقصودة التى تؤدى وظيفة معينة فى المجتمع".

والضبط ما هو إلا وسيلة اجتماعية أو ثقافية تفرض عن طريقها قيود منظمة ومتسقة نسبياً، على السلوك الفردى بهدف التوصل على مسايرة الفعل للتقاليد وأنماط السلوك ذات الأهمية فى أداء الجماعة أو المجتمع لوظيفتها على نحو مستقر [٣٠].

والضبط الاجتماعى داخل أى مجتمع قد يكون ضبط إجتماعى رسمى أو غير رسمى، وينطوى الضبط الاجتماعى الرسمى على أنساق السلطة والقوانين والقواعد واللوائح التنظيمية التى تحدد المكافأت أو العقوبات. ويتكشف الضبط الاجتماعى غير الرسمى فى صور مختلفة كالرأى العام والثناء والسخرية .... إلخ[٣١].

ويتمثل الضبط الاجتماعى فى مدينة سنَّار فى كلا النمطين للضبط الاجتماعى سواء الرسمى أو غير الرسمى. حيث يوجد فى مدينة سنَّار على إعتبار أنها تمثل إحدى المناطق الإداية التابعة للسودان، قسم شرطة وهيئات قضائية تتمثل فى محكمة سنَّار، بالإضافة للوائح التنظيمية التى تحدد الحقوق والواجبات بين الأفراد

داخل الهيكل الإدارى لمدينة سنَّار، ويضاف إلى ما سبق وجود لجان شعبية على مستوى الأحياء داخل المدينة، بالإضافة إلى العادات والتقاليد المتعارف عليها فى الآداب العامة والقيم للمجتمع السنَّارى.

وتتمثل أهمية الضبط الاجتماعى فى تشكيل التكيف الثقافى فى مدينة سنَّار على النحو التالى:

١- أن الضبط الاجتماعى يحدد نمازج السلوك المرغوب فيها لدى المجتمع، بما يتوافق مع عاداته وتقاليده وقيمه. وهنا تبرز إشكالية التعددية الإثنية الموجودة داخل مدينة سنَّار. فهناك جماعات إثنية عربية، يلعب الدين الإسلامى دور كبير فى تشكيل هويتها الإثنية، ويوجد جماعات إثنية جنوبية مثل الدينكا والنوير من بينها ما هو وثنى وأخر مسيحى. يبيح شرب الخمر وبعض الممارسات السلوكية الأخرى التى قد تكون غير مرغوبة لدى القبائل العربية.

وهنا يقتصر دور الضبط الاجتماعى بين أفراد المجتمع المنتمين إلى جماعات إثنية متباينة فى المرجعية الدينية والقيمية على تحديد ملامح العلاقات الإنسانية العامة والأداب العامة وتأكيد حرية الاختلاف مع الحفاظ على قيم وعادات الأخر.

فعلى سبيل المثال من يرغب فى شرب الخمر، يتيح المجتمع السنَّارى له ذلك، لكن فى نطاق بيته فقط. وليس فى الطرقات أو المؤسسات العامة ... إلخ. وإذا صدر منه أى سلوك لا يتفق مع الأداب العامة يقع تحت طائلة القانون.

وهنا تبرز أهمية اللجان الشعبية فى فض النزاعات التى لا تقع فى النطاق الجنائى للقانون، أو التى تقع مؤسسات الدولة المختلفة طرفاً فيها. وفى حالة عدم

قدرة هذه اللجان على فض النزاع وعودة الحقوق لأصحابها، يتم الرجوع فى هذه الحالة إلى أجهزة الدولة المختلفة مثل الشرطة أو القضاء ... إلخ.

٢- يزداد دور الضبط الاجتماعى بين أفراد الجماعة الإثنية الواحدة ويتجلى ذلك بشكل واضح فى عملية التنشئة الاجتماعية، وفيما تفرضه عادات وتقاليد القبيلة، من نماذج سلوكية مرغوبة لأفرادها. وذلك بما لا يتعارض أو يتناقض مع طبيعة الضبط الاجتماعى للمجتمع ككل.

١- الضبط الاجتماعى السائد فى مدينة سنَّار ضبط اجتماعى مجتمعى،لم تفرضه جماعة إثنية بعينها على باقى الجماعات الأخرى بل شاركت فيه كل أو غالبية هذه الجماعات الإثنية. ومن ثم لا يوجد إحساس بالتبعية أو الانقياد من جماعة إثنية لأخرى، مما خلق قدر كبير من الاستقرار والتكيف فيما بين هذه الجماعات داخل مجتمع الدراسة.

الهوامش

(١) محمد عاطف غيث:قاموس علم الاجتماع،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأسكندرية ،١٩٧٩ ، ص ١٠٢

(2).www.Tawwat.com/showthread

(3).www.sudantv.net

(٤) عادل حاج على : قطاع النقل بالبلاد. دور استراتيجى مهم يستوجب تسهيل حركة دون تعقيدات إجرائية

.www.sudacom.net/2012

(٥) محمد حافظ محمد دياب:الإتصال الثقافي بين الجماعات الإثنية . دراسة ميدانية للجالية الجزائرية في مدينة مرسيليا ،رسالة دكتوراة غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،١٩٧٦، ص ص ٥٦ &٥٧

(٦) توفيق الحسينى عبده: الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى أفريقيا "فى" الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع، الأنثروبولوجيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، مايو ١٩٩٧، ص ٤٦

(٧) نفس المرجع، ص ص ٤٧ – ٤٨

(٨) محمد عاطف غيث : مرجع سابق، ص ٢١٠

(٩) محمد السيد غلاب: البيئة والمجتمع ، دار الطالب، الإسكندرية، ١٩٥٥، ص ٧٦

(١٠) إبراهيم محمد أحمد البلولة: هجرة الفلاتة الوافدة من غرب إفريقيا وأثرها على الخارطة التنموية للسودان . دراسة تطبيقية على ولاية سنار، مرجع سابق، ص ص ١٤١ – ١٤٣

(١١) نفس المرجع، ص ١٥٨

(١٢) المصدر: مكتب المدير التنفيذى. محلية سنَّار، ولاية سنَّار بالسودان، ٢٠٠٧

(١٣).www.ar.wikipedia.org/wiki/ زراعة

(١٤) إبراهيم محمد أحمد البلولة: مرجع سابق، ص ١٤٧

(١٥) نفس المرجع، ص ص ١٤٣ – ١٤٧

(١٦) قيصر موسى الزين: مرجع سابق، ص ٦٥

(١٧) المصدر: مكتب المدير التنفيذى ، مرجع سابق.

(١٨).www.ar.wikipedia.org/wiki/تجارة

(١٩) قيصر موسى الزين: فترة إنتشار الإسلام والسلطنات "١٦٤١-١٨٢١"م ،مركز عمر بشير للدراسات السودانية ،جامعة أم درمان ، الخرطوم ، ١٩٩٨م ، م، ص ص ٦٧ – ٧٠

(٢٠) وسام أحمد طه منصور: سكة حديد السودان، ودورها فى التطور السياسى والإقتصادى والاجتماعي منذ نشأتها ١٨٦٤م وحتي عام ١٩٥٥م ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ،٢٠٠٥م ، ص ص ٤٥ – ٤٦

(٢١) المصدر: مكتب المدير التنفيذى، مرجع سابق

(٢٢) المعجم الوجيز،مجمع اللغة العربية ،القاهرة ،١٩٩٢م، ص ٤٣٢

(٢٣) بابكر فضل المولى حسين: مظاهر الحضارة في دولة الفونج الإسلامية ،دار السداد ،الخرطوم ،٢٠٠٤م ، ص ٢٢٤

(٢٤) نفس المرجع، ص ٢٢٤

(٢٥).www.esudany.com/constituition.htmI

(٢٦).www.ar.wikipedia.org/wiki/التعليم

(٢٧).www.esudany.com/constitution/الدستور السودانى

(٢٨) إبراهيم محمد أحمد البلولة: مرجع سابق، ص ١٦٠

(٢٩) رشا سعيد صبحى: أثر اللغة فى الإندماج الوطنى جنوب السودان، رسالة ماجستيرغير منشورة، ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة، ٢٠١٢، ص ١٧٨

(٣٠) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، مرجع سابق، ص ٤١٨

(٣١) نفس المرجع، ص ٤١٩

مراحل التكيف الثقافي في مدينـة سنَّار

سبق وأن أشرت فى تعريف التكيف الثقافى بأنـه تلك العمليـة الديناميكيـة الواعيـة داخل جماعة اجتماعية ما، بغرض إفراز أو تعديل أنماط ثقافية تكون قادرة على مواجهة ما طرأ عليها من تغيرات. ومن ثم تتمثل مظاهر هذا التكيف فى مجموعة التعديلات أو الأنمـاط الثقافيـة التـى أوجدتها جماعـة اجتماعيـة مـا أو تقبلتهـا أو اكتسبتها مـن جماعـة اجتماعية أخرى.

ومدينة سنَّار بما تزخر به من جماعات إثنية متعددة – سواء قبائل عربية تمثل اللغة العربية والدين الإسلامى قاسم أساس وعامل مشترك فيما بينها أو قبائل إفريقيـة متفرقة من الجنوب أو الغرب لكل منها ثقافتها وذاتيتها الإثنيـة المميزة – تعكس فى داخلها تلك العملية الديناميكية للتكيف الثقافى.

ومـن ثـم تعـد مظـاهر التكيـف الثقـافى بمثابـة النـاتج والمحصـلة لتلـك العمليـة الديناميكية للجماعات الإثنية الموجودة فى تلك المدينة.

ويمكن تقسيم التكيف الثقافى فى مدينـة سنَّار إلـي ثلاث مراحل وفقاً لطبيعة هذا التكيف هى :

١- مرحله المشاركة الإجتماعية.

٢- مرحلة التقليد الثقافى.

٣- مرحلة الإنصار الثقافي.

والتـى تعكس فـى النهايـة طبيعـة التكيـف الثقـافى القـائم بـين هـذه الجماعـات الإثنيـة الموجودة داخل المدينـة

الفصل الخامس

مرحلة المشاركة الإجتماعية

تعد المشاركة الاجتماعية بين أفراد الجماعات الإثنية المتعددة داخل سنَّار فى المناسبات المختلفة سواء كانت مناسبات سارة مثل "الأفراح وميلاد الأطفال" أو غير سارة مثل "الوفاة والمرض" من أحد المظاهر الأولية للتكيف الثقافى.

وترجع أهمية تلك المشاركة فى أن مجرد حدوثها يعنى على الأقل قبول الأخر المنتمى لجماعة إثنية أخرى، ومشاركته فى أفراحه وأحزانه يعنى بشكل أو بآخر التعاطف معه، والقرب منه.

لذلك تعتبر هذه المشاركة – فى حالة حدوثها – من الدلائل والمؤشرات الأولية لوجود مظاهر تكيف ثقافى فى المدينة.

وتتعدد أوجه المشاركة الاجتماعية سواء كانت مشاركة اجتماعية فى مناسبات سعيدة أو مشاركة اجتماعية فى مناسبات غير سعيدة كما أشرت سابقاًً. ويمكن أن نوضح ذلك فى مدينة سنَّار على النحو التالى :

أولاً : المشاركة فى إحتفالات الزواج.

ثانياً : المشاركة فى إحتفال تسمية الطفل الجديد "السماية" .

ثالثاً : المشاركة فى المناسبات العامة.

رابعاً : المشاركة فى تشييع الجنائز.

خامساً : المشاركة فى زيارة المرضى.

أولاً : المشاركة فى إحتفالات الزواج :

يعد الزواج من المناسبات السعيدة داخل كل المجتمعات الإنسانية ، وذلك لما ينطوى عليه من إرتباط جديد بين عروسين، يتسم بالشرعية بل والقدوسية فى بعض المجتمعات. وهو إرتباط غير قاصر على العروسين فقط بل هو إرتباط بين أسرتين وعائلتين، ولما كان لهذا الارتباط من أهمية كبيرة داخل المجتمعات الإنسانية، فكان من الضرورى والطبيعى أن يتم الاحتفال به.

وتختلف طريقة وطبيعة الاحتفال بالزواج من مجتمع لآخر، على حسب الثقافة السائدة لدى هذا المجتمع أو ذاك.

ومدينة سنَّار بما تزخر به من جماعات إثنية متعددة لكل جماعة منها طريقتها الخاصة فى الاحتفال بالزواج لديها، يلاحظ على هذه الجماعات أنها أستطاعت أن تتوافق فيما بينها على طبيعة هذا الإحتفال بطريقة تلقائية، تمكنت فيها العناصر الثقافية الإيجابية فى كل محتوى ثقافى لجماعة إثنية ما ، أن تسود على غيرها من العناصر الثقافية الأقل منها إيجابية وهكذا.

والإحتفال بالزواج فى مدينة سنَّار لا يعد احتفال قبلى أو قاصر على الجماعة الإثنية الموجودة داخل مدينة سنَّار فقط، لكنه احتفال يمتد لأعضاء الجماعة الإثنية الواحدة داخل وخارج مدينة سنَّار هذا من جانب، ويمتد ليشمل الجماعات الإثنية المتعددة الموجودة داخل الحى الواحد فى المدينة.

ومن ثم كان من الضرورى على هذه الجماعات الإثنية أن تعمل على تعديل مظاهر الاحتفال بالزواج أو "العِرس" كما يطلق علية فى مدينة سنَّار ، استجابة

لمشاركة العديد من أفراد الجماعات الإثنية المتعددة فى هذه الإحتفالات داخل الحى الواحد. ليصبح على النحو التالى :

تبدأ حفلات الزواج "العِرس" قبل الزواج بحوالى ثلاث أيام وتسمى بـ "حفلات العِرس" ويتم فى هذه الإحتفالات ذبح الذبائح أو "ذبح الكرامات" كما يطلق عليها هناك. والخاصة بالعِرس فى هذه الأيام. وتقدم المآدب للمشاركين فى هذه الإحتفالات سواء من أفراد الجماعة الإثنية التى ينتمى إليها أحد العروسين أو لأبناء الحى المنتمين للجماعات الإثنية الأخرى، وتصبح هذه المآدب لازمة عقب عقد القرآن فى يوم الزفاف.

وتتمثل المشاركة من أعضاء الجماعات الإثنية الأخرى الموجودة فى الحى فيما يعرف "بالكراسة" أو كشف العِرس. وهو عبارة عن كراس يكون فى حوزة أحد أفراد الحى، والذى يكون فى الغالب من أبناء إحدى الجماعات الإثنية الأخرى لعدم الشعور بالحرج ويتجه المهنئون نحو هذا الشاب الذى يحمل الكراس، ويقوموا بإعطائه مبلغ من المال – كلاً على حسب إستطاعته – ويدون اسمه والمبلغ الذى قدمه على سبيل الهدية للعريس أو العروس.

وتجمع هذه المبالغ فى النهاية وتسلم هى والكراس للعريس ليكون هذا المبلغ بمثابة دين عليه ، يقوم العريس بردة فى المناسبات لهؤلاء الأفراد.

ومن الجدير بالذكر أنه من الممكن أن يتم رد نفس المبلغ أو مبلغ أكبر منه حسب إستطاعته هو الأخر.

ولا تقتصر المشاركة فى احتفالات الزواج على تناول الأطعمة أو المساهمة فى الكراس فقط. بل لابد من المشاركة فى الإحتفال ذاته، والذى يتمثل أغلب الأحيان

فى حضور فرقة موسيقية ومطرب واحد على الأقل يقوم بالغناء والطرب للموجودين بـالفرح، وفـى هـذا لابـد لأهـل العـريس أن يحرصـوا علـى وجـود مطـرب علـى درايـة بالأغـانى التراثيـة الخاصـة بالجماعـة الإثنيـة التـى ينتمـى إليهـا العـريس، وفـى ذات الوقـت يكـون علـى علـم بالأغـانى التراثيـة الأخـرى التـى تـرتبط بالجماعـات الإثنيـة المتعددة والموجودة داخل الحى، والتى يشارك بعض أفرادها فى هذا العِرس.

وإن لم يستطيع المطرب الإلمام بهذا الكم من الأغانى التراثية فعلى القائمين على تنظيم الإحتفال الاستعانة بأكثر من مطرب فى هذا العِرس لكى يطرب أهل العِرس الموجودين من القبائل والجماعات الإثنية الأخرى. وذلك لأنه فى الغالب عند غنـاء الأغـانى التراثيـة الخاصـة بالجماعـة الإثنيـة لأهل العريس تكون هذه الأغـانى باللغـة واللهجـة الخاصـة بهـذه الجماعـة الإثنيـة والتـى قـد لا يفهمهـا الأخـرون مـن الجماعات الأخرى.

وبذلك تكون المشاركة فى إحتفالات الزواج فى مدينـة سنَّار، تتم من خلال طرفين هما :

الطرف الأول: وهم أصحاب العِرس ذاتهم وتكون مشاركتهم فى تنظيم العِرس ليتناسـب مـع كـل المهنئـين وذلـك بتقـديم الأطعمـة والمشـروبات ذات الطـابع العـام والمقبولة لدى كل الجماعات الإثنية المختلفة هناك.وكذلك من خلال فرق ومطربين تناسب أذواق هذه الجماعات المشاركة فى الاحتفال.

والطرف الثانى: وهم المشاركين فى هذا العِرس من المهنئين سواء من ذات القبيلـة أو مـن قبائـل إثنيـة أخـرى. والتـى تتمثـل فـى حضـور هـذا الاحتفـال وتقـديم المساهمات المادية المختلفة.

ثانياً : المشاركة فى إحتفال تسمية الطفل الجديد (السماية) :

يعد ميلاد طفل جديد حدث هام فى غالبية المجتمعات الإنسانية، لأنه يعنى قدرة المجتمع على الاستمرارية والبقاء.

ويمتلك كل مجتمع ما يمكن وصفه بالتنظيم الاجتماعي للحياة، والذى يتشكل من خلال ولادة طفل جديد. ويشتمل هذا التنظيم على سلسلة من مظاهر السلوك المقبولة، والتى تتعلق بالأم. وأقاربها وأصهارها، كما يشمل على بعض القواعد السلوكية المرتبطة بالميلاد نفسه وبالطفل الوليد. وتتخذ بعض هذه القواعد طابعاً طقوسياً، ويوجد بعضها للمحافظة على صحة الأم ووليدها(١).

والمجتمع السنَّارى بما يحتويه من جماعات إثنية متعددة، يمثل ميلاد الطفل الجديد فيها أهمية كبيرة، ويظهر ذلك بوضوح فى الإحتفالات المرتبطة بهذا الحدث الجليل والذبائح والكرامات وما إلى ذلك.

ومن الجدير بالذكر وجود تشابه كبير عند غالبية الجماعات الإثنية فى مظاهر الاحتفال بهذا الحدث الجليل داخل مدينة سنَّار، والذى يطلق عليه اسم "حفل السماية" نسبة إلى تسمية الطفل فى هذا اليوم.

ويعد هذا الإحتفال بمثابة إعلان لميلاد طفل جديد داخل منطقة الإقامة "الحى" لدى جماعته الإثنية.

ويقام هذا الإحتفال فى اليوم السابع لميلاد الطفل، والذي يكون فى الغالب داخل منزل والد الطفل. حيث يقوم بتوجيه دعوة جماعية للجيران فى نطاق محل الإقامة والزملاء فى نطاق العمل للحضور ، ويحدد لهم يوم الإحتفال.

حيث يقوم بذبح الذبائح – على حسب إستطاعته – لكن لابد من ذبح الذبائح وعمل ولائم طعام يُدعى إليها هؤلاء الجيران والزملاء والأصدقاء .... إلخ.

ويعد من الضرورى حضور هذا الحفل، لأن عدم حضوره يعد بمثابة إهانة وعدم تقدير لعائلة هذا الطفل الجديد وقد تكون نذير ببداية خصومة بين عائلة هذا الطفل وعائلة الفرد الذى لم يحضر هذا الحفل.

وقد يحمل والد الطفل الجديد هذا الطفل ويأتى به إلى هؤلاء المدعويين لحضور هذا الحفل تعبيراً منه على فرحته بميلاد هذا الطفل، ومشاركة من هؤلاء الأفراد بفرحة ميلاد هذا الطفل داعين له الله عز وجل بأدعية كثيرة منها أن يكون صالحاً ومطيعاً لأبويه ... إلخ.

ويوجد فى هذا الإحتفال ما يسمى "بكراس السماية" وهى أشبه فى فكرتها بكراس العِرس والذى يعد نوعاً من المشاركة والفرحة بميلاد هذا الطفل الجديد، كما يعد بمثابة دين على أبو الطفل الجديد، عليه أن يرده فى المناسبات المختلفة لهؤلاء الأفراد.

ثالثاً : المشاركة فى المناسبات العامة :

توجد مجموعة من المناسبات العامة، والتى تحدث سنوياً داخل الجماعات الإثنية فى مدينة سنَّار. فيوجد عند الجماعات الإثنية الإسلامية الأعياد الإسلامية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى والاحتفال بشهر رمضان المعظم. ويوجد عند الجماعات الإثنية المسيحية الإحتفال بأعياد القيامة والفصح وغيرها من المناسبات.

وعلى الرغم من أن هذه المناسبات تعتبر مناسبات خاصة ببعض الجماعات الإثنية دون غيرها، لكن المشاركة فيها تكون مشاركة جماعية بين كل

الجماعات الإثنية داخل مدينة سنَّار ، والتى قد تصل فى أقل مستوياتها فى تقديم التهانى لأعضاء الجماعات الإثنية التى تحتفل بمثل هذه المناسبة.

وعلى سبيل المثال نجد من العادات الموجودة والسائدة فى شهر رمضان المعظم أن الرجال والشباب يقومون بتناول الإفطار فى هذا الشهر خارج المنزل أمام منازلهم فى الشارع. فكل حوالى خمسة عشر منزل يقوم أفراد هذه المنازل بإحضار "حصيرة" للجلوس عليها وصينية لوضع المأكولات والمشروبات.وكل منزل يضع الحاصيرة والصينية أمام منزله فى الشارع فى إنتظار أذان المغرب للبدء فى تناول الإفطار.

ومن الجدير بالذكر أنه ليس من الضرورى الإلتزام بالجلوس على الحاصيرة أو الصينية التى قام الرجل بإخراجها من منزله ، فمن الممكن أن يضع الرجل الحاصيرة والصينية الخاصين بمنزله ولا يجلس عليها كل أفراد عائلته من الذكور. بل قد يتفرقوا على العديد من الأماكن والصوانى للمنازل المجاورة والعكس.

فالفرد يستطيع أن يجلس بحرية وفى أى مكان لتناول أى من المأكولات الموجودة، كما يستطع الفرد إذا نظر ووجد على الصينية المجاورة أو أى صينية أخرى مأكولات غير موجود منها عنده فمن الممكن أن يأخذ أو يعطى بكل حرية من هذه االمأكولات للآخرين.

وهذه العادة موجودة فى كل أحياء مدينة سنَّار . لدرجة أن الشوارع فى المدينة تكون مغلقة فى فترة الإفطار ويجلس أى فرد من أى قبيلة لتناول طعام الإفطار فى أى مكان كان متواجد فيه أثناء هذا الإفطار. بصرف النظر عماً إذا كان يعرف هؤلاء الأفراد أصحاب موائد الإفطار أم لا يعرفهم. ويكون من غير المستحب أن يرفض هذا الفرد الدعوة للجلوس لتناول طعام الإفطار حتى وإن كان غير مسلم.

رابعاً : المشاركة فى تشييع الجنائز :

يعد الموت من الظواهر العالمية ، ولذا اهتم به العديد من علماء الانثروبولوجيا . فالموت كظاهرة يعكس الوعى الإنسانى نحو النوع البشرى بأنه سيؤل إلى زوال وإلى حياة أخرى ،لذا عرفه البعض بأنة يعد واحدة من طقوس المرور للحياة بالنسبة للإنسان [٢]

وحادث الموت من الأحداث التى تخلق حالة كبيرة من التعاطف والتسامح بين الأفراد بشكل عام[٣].

ويتم مواجهة هذا الحادث – الموت – من خلال مجموعة من الشعائر الجنائزية والممارسات الخاصة بكل مجتمع[٤].

وتتم هذه الشعائر الجنائزية فى مدينة سنَّار بشكل متقارب ومتشابه رغم وجود العديد من الجماعات الإثنية ذات الثقافات المتعددة.

ويمكن تناول ذلك علي النحو التالى :

يبدأ الإعلان عن وفاة الميت بصياح النساء أو كما يطلق عليها فى مدينة سنَّار "سكاليب الحريم" ويذهب الرجال وكبار السن من أهل الحى بصرف النظر عن الجماعة الإثنية التى ينتمى إليها المتوفى أو التى ينتمى إليها مشيع الجنازة يذهبوا إلى بيت المتوفى والوقوف أمامه أو بداخل الديوان الخاص بالبيت. وتذهب النساء أيضاً إلى الأماكن المخصصة لهن عند بيت المتوفى.

ويتوجه مجموعة من شباب الحى إلى منطقة المقابر، وهى منطقة مخصصة لدفن الموتى من ساكنى الحى جميعاً، لكل القبائل سواء العربية أم الإفريقية، للمسلمين أو المسيحيين أم الوثنيين. يقوم هؤلاء الشباب بحفر قبر للمتوفى متقارب

مع هيئته الجسمانية من حيث الطول والضخامة. وهو عبارة عن حفرة بطول المتوفى فى باطن الأرض

والمقابر كلها فى الأحياء المختلفة لمدينة سنَّار مثل بعضها البعض لا يوجد أى نوع من أنواع التمييز فيما بينها – سواء مقابر للمسلمين أو المسيحيين أو غير ذلك– كلها مقابر متشابة.

وتتم عملية الغُسل للمتوفى فى بيته، ويقوم بها أفراد على علم ودراية بأحكام غُسل المتوفى ويكون لهم الحق فى الدخول على المتوفى"الدخول الشرعى".

ثم يُحمل المتوفى بعد الغُسل والتكفين على العنقريب.ويوضع عليه ثوب أبيض، ويذهب به وهو محمول على العنقريب وعلى أكتاف المشيَّعين إلى المقابر عن طريق المشاركة المتتابعة للمشيعين فى عملية حمل المتوفى، ويتم التناوب فيما بينهم من خلال قول مجموعة من العبارات مثل "الأجر والصواب وغيرها من العبارات

"أنظر الصورة رقم ٧"



صورة رقم (٧)

العنقريب في مدينة سنَّار ، والذي يستخدم في العديد من الأستخدامات

مثل النوم أو الجلوس أو حمل الموتي ،،،،،إلخ

ويتم الصلاة على المتوفى الصلاة الشرعية فى منطقة المقابر فى ساحة كبيرة مخصصة لذلك، وليس بالمسجد أو الكنيسة. ويوضع المتوفى فى قبره بعد الصلاة عليه – وهو قبر مخصص لفرد واحد فقط ٠ ويقفل عليه من خلال وضع أحجار طويلة تصل بين جانبى القبر بالإضافة إلى الطوب اللبن المصنوع من الطمى غير المحروق والذى يصنع بسمك كبير لهذا الغرض فى الغالب ليستطيع أن يغلق سطح القبر ويتحمل وضع أى أحجار أخرى صغيرة فوقه – ثم يوضع على القبر قدر من الشوك لكى لا تستطيع الحيوانات المفترسة أو الكلاب ... إلخ من العبث بالقبر.

وحديثاً أصبح هناك بعض الأفراد من أهل المتوفى يرغبوا فى وضع لوحة حجرية أو لوح من الصاج السميك مكتوب عليه اسم المتوفى ويوم وفاته." أنظر الصور من ٨ إلى ١٠



صورة رقم (٨)

أحد المقابر في مدينة سنَّار ، وهو قبر غير مرتفع عن سطح الارض وموضوع فوقه قطعتين صغيرتين من الحجارة للتنبية بوجود القبر فقط



صورة رقم (٩)

أحد المقابر لكن موضوع فوقة قطعة من الصاج مكتوب عليها اسم المتوفي وتاريخ وفاتة ، ووضع مثل هذة الافتة لمجرد التمييز ووفقاً لرغبة أهل المتوفي



صورة رقم (١٠)

قبر إحدي النساء موضوع فوقة قطعة من الحجر المنحوت مدون عليها اسمها وتاريخ وفاتها فقط

وبعد الدفن يعود كل المشيعين إلى الحى ، حيث يقام خيمة للعزاء "فراشة بها كراسى" ، والعزاء يكون يومين لكل سكان الحى. ويتم حساب اليومين من خلال تقديم وجبة الغذاء على مرتين "على يومين" للمترددين على العزاء. فإذا توفى الميت فى يوم وتم تشييع الجثمان متأخراً فإن اليومين يتم إحتسابهم من اليوم التالى لتشييع الجثمان.

أما إذا تم تشييع الجثمان مبكراً وعاد أهل الحى إلى بيوتهم قبل ميعاد الغذاء وأمكن عمل وجبة الغذاء فى هذا اليوم وتقديمها للمعزين، فإن هذا اليوم يعتبر هو اليوم الأول للعزاء .

والوجبة الغذائية المقدمة فى العزاء لابد وأن تكون متكاملة سواء مقدمة للرجال أم للنساء. وكل بيت يخرج منه صينية طعام للرجال وأخرى للنساء.

ويتم تتناول الوجبة فى فراشة العزاء بالنسبة للرجال، وفى بيت المتوفى بالنسبة للنساء.

وفى الليل يكون هناك إضاءة ويكون العزاء عبارة عن قرأة للقرآن الكريم وتقديم المواساة لأهل المتوفى.

ويوجد فى العزاء "كُراس أيضاً" حيث يقدم مساهمات مالية يدون فيها أيضاً الاسم والمبلغ الذى ساهم به الفرد لأهل المتوفى. وليس هناك إلزام على كل فرد أن يقدم مثل هذه المساهمات لكن يفضل ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن كل هذه الطقوس السابقة متشابة فيما بينها بالنسبة للجماعات الإثنية سواء المسلمة أو المسيحية أو حتى الوثنية ولا يوجد إختلاف سوى أن الجماعات المسيحية من النوير والدينكا عليهم أن يتصلوا بالكنيسة، ليأتى أحد

رجال الدين المسيحى من الكنيسة ليصلى على المتوفى، ويقيم له بعض الطقوس المرتبطة بالوفاة وبالفرد المتوفى.

خامساً : المشاركة فى زيارة المرضى :

يُعرف المرض بأنه الحالة التى يحدث فيها خلل ، إما فى الناحية العضوية أو العقلية أو الإجتماعية للفرد، ومن شأنه إعاقة قدرة الفرد على مواجهة أقل الحاجات اللازمة لأداء وظيفة مناسبة.

وعادة ما يحدث المرض نتيجة قصور عضو أو أكثر من أعضاء الجسم على القيام بدوره خير قيام، كما يحدث أيضاً إذا أختل أو إنعدام التوافق بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجسم فى أداء وظائفه(٥).

ومدينة سنَّار تزخر بتعداد سكانى يصل إلى أكثر من ٩٣.٢٠٠ نسمة لسنة ٢٠٠٢(٦) قد يتعرض بعضاً منهم إلى مرض ما يُلزمه الفراش أو يكون سبباً فى إقامته بالمستشفى لبعض الوقت، مما يكون سبباً ضرورياً فى كثير من الأحيان للقيام بزيارة هذا المريض. حيث يقوم الأقارب والجيران والأصدقاء وزملاء العمل فى زيارة هذا المريض فى مكان إقامته للإطمئنان على صحته." أنظر الصورة رقم ١١ "



صورة رقم (١١)

مركز صحي الشهيد د/ عبدالله علي الجعلي بحي الجنينة بسنَّار

وتكون هذه الزيارات ضرورية وملزمة على الأفراد الذين يرتبطوا مع المريض بروابط قرابية أو جيران أو أصدقاء. وتقل وتضعف كلما بعدت تلك الروابط.

وفى هذا الصدد نجد عند الدينكا على سبيل المثال قول مأثور لديهم هو "يأيها المرض أمسك بى حتى أرى ناسى" فعندما يتعرض شخص ما للإصابة بالمرض يجتمع أقاربه وأصدقاؤه ويتكدسون من حوله ويصلون من أجله(٧).

ونجد فى مثل هذه الزيارات وإن كانت فى ظاهرها تؤدى وظيفة هامة داخل مدينة سنَّار وهى الإطمئنان على صحة المريض وتقديم يد العون له إن تطلب الأمر ذلك.

فهى تؤدى وظيفة كامنة وهامة أيضاً وهى خلق قدر من التماسك وتقوية روح الترابط، وكذلك تذويب أى قدر من الخلافات – إن وجدت – بين الجماعات الإثنية المختلفة.

الـهوامـش

(١) شارلوت سيمور – سميث: مرجع سابق، ص ٦٧١

(2) Phylis Palgi & Henry Abramovitch : Death . across-cultural perspective , Annual review of anthropology , Annual review published online, Vol. 13 , 1984 , P.P. 385-417

(٣) محمد الجوهرى: الأنثروبولوجيا. أسس نظرية وتطبيقات عملية، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨٣، ص ٤٨٥

(٤) شارلوت سيمور – سميث: مرجع سابق، ص ٦٦٣

(٥) نادية عمر: العلاقات بين الأطباء والمرضى. دراسة فى علم الاجتماع الطبى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٣، ص ٢٨٩

(٦) الجهاز المركزى للإحصاء، مكتب إحصاء ولاية سنّار، تقديرات سكان محلية مدينة سنار/ محافظة سنار لعام ٢٠٠٢

(٧) فرانسيسى دينق: الدينكا فى السودان، مرجع سابق، ص ٢١٩

الفصل السادس

مرحلة التقليد الثقافى

تأتى مرحلة التقليد الثقافى كمرحلة ثانية بعد المشاركة الاجتماعية. لأن عملية التقليد تأتى بعد التعرف على العديد من الأنماط الثقافية المختلفة للجماعات المتعددة، وفهم طبيعتها وأهميتها ومدى ملائمتها لثقافة الفرد الذى يحاكيها.

ولذلك تأتى هذه المرحلة بعد المشاركة الاجتماعية فى المناسبات المتعددة والتعرف على هذا الأخر المختلف ثقافياً. وكذلك التعرف على البيئة وما تمتلكه من مقومات. لأن الفرد قد يكون غير مقتنع بنمط ثقافى ما، لكنه يكون مضطر إلى محاكاته نظراً لطبيعة البيئة وما تمتلكه من مقومات.

وسوف تقتصر هذه المرحلة في مظاهرها على الجوانب المادية فى الثقافة، لأنها تمثل الجوانب الملموسة والظاهرة لكل الأفراد سواء الأفراد الذين سيتم محاكاتهم فى تلك الأنماط الثقافية أو الأفراد ذاتهم الذين سيقومون بتلك المحاكاة.

وسوف يقتصر هنا على توضيح طبيعة التقليد الثقافى من خلال مجموعة من العناصر الثقافية تتمثل فى :

أولاً : الملبس. **ثانياً : المسكن.** **ثالثاً : الطعام.**

لأنها عناصر ثقافية لصيقة بالذات الإنسانية وتناولها بالدارسة يعكس بوضوح طبيعة التكيف الثقافى، بما ينطوى عليه من مضامين مثل تقبل الأخر بل

والدخول فى عمليات تقليد ومحاكاة لهذا الأخر ويمكن أن نتناول ذلك على النحو التالى :

أولاً : الملبس فى مدينة سنَّار :

الملبس لفظ يشمل الملابس بدءاً من الرباط إلى مختلف قطع الملابس. لهذا يشمل الملبس واحداً أو أكثر من القطع أو أنواعاً معينة من الملابس أو الزى.

فالإنسان ككائن بيولوجى يواجه الظروف الطبيعية عامة والمناخية خاصة من خلال الملبس، يضاف لذلك أن الملابس إلى جانب وظيفتها هذه تعد جزءاً جمالياً من حضارة الإنسان بفضل حب الإنسان للجمال.

وإلى جانب وظيفة الملابس وعنصرها الجمالى أيضاً فى الحضارة فإنها ترتبط بالمجتمع قبل أن تكون وظيفة أو قالب جمالى، ففى بعض المناطق الحارة لابد للرجال من إرتداء سترة كاملة مع رابطة العنق فى كثير من الأماكن وفى بعض المناسبات والحفلات ، ونجد فى بعض المناطق الباردة ترتدى السيدات ملابس خفيفة تكشف بعضاً من أجزاء الجسم فى بعض المناسبات المختلفة[١].

وهذا يعكس قدر من الإختلاف فى الوظيفة التى تؤديها الملابس من مجتمع لأخر حسب ثقافة كل مجتمع.

ورغم أن مدينة سنَّار تزخر بتعدد إثنى ، يصبح من الضرورى أن نجد نمازج ثقافية متعددة فى طبيعة الملابس وأنواعها ووظيفتها ... إلخ لكن يلاحظ على الملبس فى تلك المنطقة أنه موحد إلى قدر كبير، فلا يوجد ملبس معين موحد لقبيلة أو عشيرة بذاتها. بل يكاد يكون الملبس موحد فى مدينة سنَّار بل والسودان عامة.

ووفقاً لما يرويه أهل مدينة سنَّار أنفسهم عن الملبس نجد أنه يتمثل فى الجلباب الأبيض بدون لياقة ، والطاقية المغطاة بالعِمامة وأحياناً الطاقية فقط والعراقة "وهى شئ أصغر من الجلباب لكنها على هيئته ، وهى أشبه بما يعرف لدى الفلاح المصرى بالقميص الرجالى الذى يرتديه الفلاح أسفل الجلباب" ، ثم السروال "وهو عبارة عن بنطلون قصير يتم رداءة أسفل الجلباب".

وقد يكون لبس الجلباب خاصة الأبيض وإرتداء العِمامة للتخفيف من أشعة وحرارة الشمس القوية لديهم . وإرتداء العراقة لإمتصاص العرق الناجم عن هذه الحرارة.

أما إرتداء السروال فهو فى الغالب لستر العورة عند الرجال والتى تصل إلى منطقة الركبة، لأن العمل أو ركوب بعض المواصلات .... إلخ قد يضطر الرجال إلى رفع أسفل الجلباب.

كما يوجد تشابه كبير فى إرتداء الأحذية المصنوعة من الجلود المحلية والتى يطلق عليها اسم "المركوب".

ورغم أن ما سبق يعد الزى الرسمى والموحد لكل الجماعات الإثنية الموجودة فى مدينة سنَّار . لكن يمكن إرتداء ملابس أخرى غير ما سبق خاصة الشباب والأطفال من الذكور تتمثل فى إرتداء القميص والبنطلون المصنوعين من الأقمشة العادية مثل القطن المخلط بقدر من الألياف الصناعية والمواد الأخرى. ونادراً ما تجد منهم من يرتدى ملابس الجنز. وقد يكون ذلك عائداً لطبيعة الجو الحار والذى يتطلب ملابس فضفاضة وخفيفة وفاتحة قدر الإمكان.

أما بالنسبة للنساء، فالملبس لديهن بسيط هو الأخر، ولا يوجد إختلاف فيما بينهن فى الرداء ، لدرجة أنه يعد من الصعب التمييز بين النساء من حيث الملبس ، فكل النساء من مختلف القبائل فى مدينة سنَّار ترتدى الجلباب من أسفل ثم تغطى هذا الجلباب بما يطلق عليه لديهن اسم "التوب" وهو قطعة من القماش ذات الألوان الجميلة وتكون خفيفة وتقوم المرأة هناك بلفها فوق الجلباب بحيث أنها تكون من أسفل أشبه بالجونلة ومن أعلى تغطى كل الجسم بما فيه الرأس ما عدا الوجه.

لكن هناك بعض الفتيات الاتي لم يتزوجن ، قد يرتدين أشكال أخري من الثياب مثل " الجيب والبلوزة " وأحياناً " العباءة " "أنظر الصورة ١٢ "



صورة رقم (١٢)

مستشفي سنَّار التعليمي في مدينة سنَّار ، ويظهر في الصورة فتاتين إحداهما ترتدي الزي السوداني التقليدي والأخري ترتدي نمط أخر للزي

وفي ظل هذا النمط السائد من الملبس الذى يتسم بالتوحد والتشابه حتى بين القبائل الجنوبية من الدينكا والنوير فى مدينة سنَّار. يفقد الملبس إحدى وظائفه الهامة وهى أنه يعكس المستوى والمكانة الاجتماعية للفرد أو يكون أداة للتميز بين النساء مع بعضهن البعض.

ويتم التمييز بين النساء المتزوجات وغير المتزوجات. فقط فى وضع الحناء أو عدم وضعها.

فالمتزوجات يتم تمييزهن بالحناء التى توضع فى أصابع اليد وفى الأقدام بالإضافة إلى لبس خاتم فى اليد اليسرى أما غير المتزوجة فلا يسمح لها بوضع الحناء على الإطلاق . "أنظر الصورة ١٣ "



صورة رقم (١٣)

كف إحدي السيدات المتزوجات ، لأن أصابعها بها الحنة ، وتحمل في كفها القليل من العدس السوداني

ثانياً : المسكن فى مدينة سنَّار :

المسكن هو محل الإقامة الذى يهيأ للناس فى مجتمع معين، ويعتبر المسكن من أهم العوامل التى تؤمن استمرار الحياة الإجتماعية وكذلك أهم أشكال الثقافة المادية.

ويوجد فى كل المجتمعات فيما عدا المجتمعات التي تعمل بالرعي. ولا يوجد أى شعب بدون مساكن، وهى تخدم المأوى فى المقام الأول كأماكن للنوم وحماية من التقلبات الجوية لدى الشعوب البدائية.

ولم تكن الوظيفة الأساسية للمسكن بأنه مكان للغذاء أو الراحة الجسدية فقط لأن ذلك كان يحدث خارج المسكن، إنما يبدو أن المسكن كان أداة حضارية تغلب بها الإنسان على الظروف المختلفة مثل البرودة والمطر وأشعة الشمس بالإضافة إلى أنه يعد أداة للحماية من مفاجأت الأعداء والحيوانات الضارة[٢].

والمسكن فى مدينة سنَّار هو محل للإقامة للجماعات الإثنية المتعددة هناك، ورغم التنوع الإثنى والذى يعد بمثابة أداة لظهور أشكال متنوعة من المسكن فى المدينة، كلاً على حسب جماعته الإثنية التى ينتمى إليها. لكن المساكن فى مدينة سنَّار تتشابه إلى حد كبير فى أشكالها وفى غالبية مواد بنائها، بل وفى معظم أثاثها، والذى يمكن توضيحه على النحو التالى :

أ – أشكال المسكن :

من الجدير بالذكر أن غالبية المساكن الموجودة فى مدينة سنَّار يسودها شكل واحد متشابه إلى حد كبير فى مختلف أحياء المدينة والتى يصعب معه تحديد هوية صاحب هذا المسكن أو ذاك. عماً إذا كان من إحدى القبائل العربية أو الإفريقية المختلفة سوى القليل منها.

والمسكن فى مدينة سنَّار عبارة عن حوش كبير له باب يختلف فى إتساعه من مسكن لأخر. ويقسم هذا الحوش إلى قسمين :

– **القسم الأول:** وهو القسم الأمامى ويبدأ بما يطلق عيه "بالديوان" وهو عبارة عن حجرة كبيرة مستقلة لها باب واحد أو إثنين على الأكثر، ويخصص هذا الديوان فى الغالب لإستقبال الضيوف ويوجد بالقرب من الديوان حمامان، إحداهما لقضاء الحاجة والأخر للإستحمام فقط. ويوجد بالقرب منهم صنبور من المياه يحاط بأسفله بناية صغيرة لتصريف المياه. ويستخدم هذا الصنبور فى الغالب للوضوء أو لغسيل الأيدى بعد الأكل ..... إلخ.

– **القسم الثانى:** وهو القسم الخلفى وهو متصل بالقسم الأمامى من خلال ممر صغير يصل عرضه فى بعض الأحيان إلى ٢ متر.

ويوجد فى هذا القسم حجرات النوم لأفراد العائلة كلاً على حسب عدد أفراده، بحيث يكون لكل زوج وزوجته غرفتهم الخاصة بهم. ولا يعيش معهم فى تلك الغرفة سوى الأطفال الرضع فقط، ويوجد فى الغالب حجرة للفتيات وأخرى للصبية يعيش فى كل من هاتين الغرفتين غير المتزوجين سواء كانوا إخوة أو أبناء عم.

ويوجد فى هذا القسم حمامين إثنين أيضاً إحداهما لقضاء الحاجة والآخر للإستحمام . ويوجد مكان مفتوح لعمل الخبز كما يوجد حجرة صغيرة "مطبخ " لعمل الطعام بداخلها لكل أفراد العائلة.

وإرتفاع المسكن عبارة عن دور واحد فقط فى الغالب، ويرجع ذلك لعدم الحاجة إلى بناء عدة أدوار، لأن المنزل متسع لأفراد العائلة جميعاً.

ويدخل فى بناء هذا النمط من المنازل فى مدينة سنَّار العديد من المواد، يعد الطوب خاصة المحروق المادة الأساسية فى بنائها.

والطوب يصنع محلياً من رواسب طمى النيل الأزرق. لذا تعد هذه الصناعة صناعة موسمية، تبدأ من شهر أكتوبر من كل عام وحتى شهر يوليو من العام الذى

يليه. أما الفترة من شهر يوليو وحتى أكتوبر يكون ماء النيل الأزرق فيها مرتفع ويكون فائضاً على كل الحُفر المجهزة لترسيب هذه الرواسب بداخلها.

ويسمى هذا الطوب "بالطوب الأحمر" لأنه يحرق داخل كمائن الطوب المخصصة لهذا الغرض. وتتطلب هذه العملية عمالة كثيفة يستعان بها من أبناء مختلف القبائل، خاصة قبائل دارفور والقبائل الجنوبية لبنيتهم الجسمانية القوية ولقدرتهم على الأعمال الشاقة.

ولذا يغلب على معظم المبانى السكنية لون الطوب الأحمر والقليل منهم من يقوم بطلاء المنزل من الخارج.

ويعد هذا هو النمط السائد من المساكن فى مدينة سنَّار فى غالبية أحيائها ولدى معظم سكانها. لكن ليس معنى أنه النمط السائد أنه يمثل النمط الوحيد، بل يوجد بعض النمازج الأخرى من المنازل، لكنها فى الغالب توجد فى أطراف الأحياء السكنية وهو نمط يمتلكه الفقراء خاصة من أبناء القبائل الجنوبية، وهو نمط يعد بمثابة مزيج من النمط السائد فى مدينة سنَّار والنمط السائد عند هذه القبائل فى موطنهم الأصلي .

فالمسكن عند الدينكا يطلق عليه اسم قطية والجمع قطاطى، ويتشابه مع المساكن الموجودة فى المدينة فى وجود حوش كبير للمنزل يحاط بسور لكنه فى الغالب يكون من الحطب والعِصى والقش مترابط مع بعضه البعض من خلال أحبال صغيرة من السعف أو الأسلاك الصغيرة. وقد يكون السور من الطوب اللبن ومنخفض الارتفاع.

وبالداخل من هذا السور يوجد غرفة للنوم تجمع كل أفراد العائلة، جدرانها مصنوعة من الطوب اللبن وسقفها على شكل نصف دائرة أو مثلث قاعدته على

جدران الحجرة ورأسه فى أعلى، ويصنع من البوص المغطى بالقش وسعف النخيل وما إلى ذلك.

ويوجد حمام واحد للإستحمام وقضاء الحاجة معاً، ويوجد حجرة صغيرة لطهى الطعام، ويتم إستقبال الضيوف فى حوش المنزل ويرجع السبب فى وجود هذا النمط من المساكن إلي العامل الإقتصادى. فالفقر هو الدافع الأساسى لبناء المسكن على هذا النحو لتقليل نفقات البناء قدر المستطاع. كما يرجع وجوده فى أطراف الأحياء للعامل الإقتصادى أيضاً. فالأرض فى أطراف الأحياء تكون أقل بكثير فى ثمنها من الأراضى الصالحة للبناء فى وسط الأحياء السكنية.

ويلاحظ على هذا النمط بأنه هو الأخر متشابه مع النمط السابق والإختلافات بينهم قليلة تتمثل على سبيل المثال فى نوع الطوب المستخدم فى البناء. فالنمط الأخير يستخدم فى الغالب الطوب اللبن لتقليل النفقات وقد لا يعتمد على الأسمنت أو الحديد فى عملية البناء ويعتمد على الأخشاب وغيرها من الأشياء مثل البوص والسعف ... إلخ لرخص ثمنها. "أنظر الصور من ١٤ إلى ٢٠"



صورة رقم (١٤)

أحد شوارع حي الجنينة ، حيث يوجد قدر كبير من التشابة فى الشكل المعماري للمساكن وهى مصنوعة من الطوب الأحمر



صورة رقم (١٥)

أحد المساكن بالداخل ، يظهر فيها الديوان الخاص بالضيوف وبجانبة إحدي الممرات نحو الداخل للمنزل



صورة رقم (١٦)

منطقة الحمامات الخاصة بالضيوف ، إحداهما للإستحمام والأخر لقضاء الحاجة



صورة رقم (١٧)

أحد مساكن الدينكا في حي الجنينة بمدينة سنَّار، ويظهر بالصورة إنخفاض تكلفة إقامة المسكن ، فالسور من الأعشاب والبوص والمنزل من الداخل بالطوب اللبن ولا يوجد كهرباء بداخلة



صورة رقم (١٨)

الحجرة الرئيسية لمسكن أحد أبناء قبيلة النوير بسنَّار، وهى مصنوعة من الطوب اللبن علي شكل دائري وتعلوها قبوة من الأعشاب والبوص



صورة رقم (١٩)

قبوة الحجرة السابقة من الداخل ، حيث ترتكز علي مجموعة من البوص المغطي بالأعشاب من الخارج



صورة رقم (٢٠)

العريشة أو المطبخ بداخل أحد مساكن قبيلة النويربمدينة سنَّار وهي مصنوعة من البوص والاعشاب

ب- أثاث المسكن داخل مدينة سنَّار :

يكاد يتشابه أثاث المسكن عند الجماعات الإثنية فى مدينة سنَّار، فيوجد العنقريب وهو أشبه "بالسرير" ويصنع من الخشب وينسج بالحبال التى تصنع هى الأخرى من سعف الدوم أو النخيل . ولا يكاد يخلو منزل من وجود أكثر من عنقريب بداخله. وذلك لإستخداماته المتعددة. فيستخدم فى حفلات العِرس لديهم ليجلس عليه العروسين معاً. كما يستخدم فى حالات الوفاة لحمل المتوفى عليه والسير به إلى منطقة المقابر لديهم. ويستخدم للنوم. كما يستخدم للجلوس عليه فى حوش المنزل.

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد بعض "الأسِرة" كأثاث فى المنزل لكنها ليست السائدة مثل العنقريب. ويرجع السبب فى عدم إنتشارها بكثرة لعديد من الأسباب كغلاء أسعارها ولصعوبة حركتها من مكان لأخر مثل العنقريب.

ويحتوى أثاث المساكن هناك أيضاً على مقاعد صغيرة مكونة من أربعة أرجل تصنع من الخشب أو الحديد ومنسوجة بالحبال. ويوجد حديثاً مقاعد من البلاستيك ذات الأربعة أرجل والتى تعد من المقاعد الحديثة لكن الأولى هى السائدة لديهم.

ومن الأهمية بمكان التأكيد على أنه لا يكاد يخلو أى منزل هناك من عدة "أبراش" ذات أحجام مختلفة وفقاً لاستخدام كل حجم. فهناك "بُرش" يستخدم للجلوس عليه أرضاً. وهناك نوع أخر يستخدم لغطاء الأطعمة والمخبوزات المختلفة. ويوجد أنواع أخرى تستخدم بغرض الزينة للمنزل .... إلخ. "أنظر الصورة ٢١ "



صورة رقم (٢١)
نموزجين من " البِرش " يحمل علي إحداهما الكسرة أو أي نوع أخر من الخبز ، ويغطي بالأخر

كما يوجد داخل كل منزل أدوات طهى متعددة تصنع غالبيتها من مادة الألومنيوم وأخرى من البلاستيك . لكن هذه الأدوات تتفاوت فى عددها وجودتها من عائلة لأخرى وفقاً للحالة الإقتصادية لكل عائلة.

ويضاف إلى ما سبق وجود أدوات كهربائية فى مختلف المنازل داخل مدينة سنَّار ، لكنها تتفاوت فى أنواعها. فهناك منازل لديها ثلاجة وتلفاز وجهاز مستقبل للقنوات الفضائية ومكواة كهربائية . لكن مثل هذه الأدوات ليست موجودة فى غالبية المنازل هناك. ويرجع العامل الأساسى فى ذلك إلى الوضع الإقتصادى لكل عائلة ، ولصعوبة الحصول عليها لأن غالبيتها مستوردة وغير موجودة بكثرة فى

المدينة.ولذلك يوجد العديد من الأسّر فى مدينة سنَّار لا تمتلك سوى أدوات طهى تقليدية "أنظر الصورة ٢٢ "



صورة رقم (٢٢)
أحد أدوات الطهى وهو لصناعة الخبز في سنَّار وهو عبارة عن قطعة من الصاج السميك موضوعة فوق بعض الأحجار ويشعل بأسفلها النيران من خلال الأعشاب

ثالثاً : الطـعام في مدينـة سنَّار :

حاز موضوع الغذاء والطعام إهتمام العديد من علماء الأنثروبولوجيا منذ تاريخ طويل إمتد منذ القرن التاسع عشر على يد العديد من العلماء أمثال جاريك ماليرى Garrick Mallery ووليم روبرت سميث William Robertson smith وانبثق هذا الإهتمام من أهمية الطعام والغذاء للوجود الإنسانى [٣]

فالطعام من أساسيات الحياة، ومهم أيضاً للمعاملات والمخالطة بين الناس، فتقديم الطعام أو الشراب فى غالبية المجتمعات يعتبر تعبيراً عن الحب ومنه يخلق الشكل الصداقى، فعندما يقدم للإنسان الطعام، فكأنما يبادلهم ويشاركهم الشعور. وعلى هذا فنجد أن تقديم الطعام يعبر عن الصداقة والشعور بالحب[٤].

ولكل شعب عاداته وتقاليده فيما يختص بالطعام من حيث مكان الطهى، ومن يقوم به من الجنسين وأماكن تخزينه وحمايته من عبث الحيوانات. وطرق الحفظ "التدخين أو التمليح أو التجفيف ...الخ" ، وكذلك بالنسبة للوجبات وتحديد مواقيتها والاجتماع على الوجبات وطرق تقديم الطعام، وكمياته لكلا الجنسين وطريقة دعوة الضيوف للطعام، وتختلف أيضاً طرق الأكل ذاتها من جماعة لأخرى مثل الأكل باليدين والأصابع أو من خلال استخدام أدوات الطعام .... إلخ. [٥].

ويمكن أن نتناول الطعام فى مدينة سنَّار من خلال الأتى :

أ – أنواع الأطعمة فى مدينة سنَّار .

ب– الوجبات الغذائية وطرق تناولها .

(أ) أنواع الأطعمة فى مدينة سنَّار :

تتميز مدينة سنَّار بوجود أنواع متعددة من الأطعمة المعروفة لديهم ، نظراً لتعدد الجماعات الإثنية بداخلها والتى تشتهر كلاً منها ببعض الأطعمة .

ويمكن تقسيم الطعام لدى الجماعات الإثنية فى المدينة إلى قسمين :

القسم الأول : المخبوزات :

وتتمثل هذه المخبوزات فى كل العجائن المصنوعة من الدقيق. بصرف النظر عن مادة الدقيق إن كانت ذرة أو قمح ... إلخ .

ومن أمثلة هذه المخبوزات الأتى :

- **القراصة** : وهى عبارة عن عجينة سميكة ، على شكل دائرة قطرها حوالى ٢٥سم وسمكها حوالى ٢سم، وهى مصنوعة من القمح. وهى من المخبوزات المفضلة عند النوبيين .
- **الكِسرة** : وهى عجينة رقيقة جداً مصنوعة من الذرة الرفيعة على شكل دائرة يصل قطرها حوالى ٥٠ سم وتصنع على شكل رقائق توضع فوق بعضها البعض، ويفضلها غالبية القبائل العربية خاصة الشايقية. "أنظر الصورة ٢٣ "



صورة رقم (٢٣)
إحدي رقائق خبز الكسرة

- **خبز قدم الحمام** : وهو عجينة مصنوعة من الذرة الرفيعة ، مقسمة إلى حبيبات صغيرة ويوضع عليها اللبن والسكر وتؤكل طازجة وهى طعام مفضل لدى قبائل النوير . "أنظر الصورة ٢٤ "



صورة رقم (٢٤)
خبز قدم الحمام المفضل عند النوير بسنَّار

- **فطيرة اللبن:** وهى عبارة عن عجينة مصنوعة من القمح أشبه بالكسرة لكنها سميكة قليلاً، ويوضع عليها اللبن والسكر وتؤكل ويفضلها قبائل الجعليين.

القسم الثانى : المـلاح :

يطلق اسم المـلاح على كلمة "الطبيخ" فى مدينة سنَّار، فيقال على سبيل المثال ملاح الويكة أى طبيخ الويكة ... إلخ (٦).

والملاح قد يكون باللحم وقد يكون بدون اللحم. فملاح الويكة بدون اللحم على سبيل المثال يكون عبارة عن ويكة "بامية مجففة ومصحونة" ويضاف إليها البصل والزيت وطماطم وبهارات. "أنظر الصورة ٢٥ "



صورة رقم (٢٥)

طبق به بعضاً من الويكة قبل الطهي وهي عبارة عن

" بامية مجففة ومطحونة جيداً"

وفى حالة ملاح الويكة باللحم يضاف إلى ما سبق قطع من اللحم صغيرة الحجم. وقد تستبدل الويكة بأى خضار أخر مثل الملوخية أو الوبيا ... إلخ .

كما يوجد فى مدينة سنَّار ما يعرف بـ "ملاح الشرموط" . وكلمة شرموط لديهم تشير إلى اللحم أو السمك المجفف والمصحون.

وملاح الشرموط يكون عبارة عن شرموط وبصل وزيت وبهارات وقد يضاف إليه ويكة فى بعض الأحيان. ويستخدم فى الغالب لدى الأفراد الذين يعملون بالرعى. ويتطلب عملهم البعد قليلاً عن المنزل، وهم فى حاجة إلى "بروتين" ولا يتمكنوا من الحصول عليه بطريقة طازجة. ويختلف ملاح الشرموط عن الويكة باللحم فى أن الثانية تطهى باللحم الطازج دون تجفيف.

(ب) الوجبات الغذائية وطرق تناولها .

أولاً: الوجبات الغذائية :

تتشابه الوجبات الغذائية فى مدينة سنَّار عند غالبية الجماعات الإثنية الموجودة فيها من حيث عددها، حيث تنقسم هذه الوجبات إلى ثلاث وجبات غذائية هى الإفطار والغذاء والعشاء.

ووجبة الغذاء هى الوجبة الرئيسية لديهم. ويختلف ميعاد تناولها على حسب كل أسرة بل على حسب كل فرد داخل الأسرة. لكن يتراوح ميعاد تناولها فى الغالب عند معظم الجماعات الإثنية هناك من قبل أذان العصر بحوالى ساعة إلى بعد آذان العصر بحوالى ساعة زمنية تقريباً.

وتحتوى هذه الوجبة على أى نوع من أنواع الملاح أو أى نوع من الأسماك وبعض المخبوزات على حسب ما تفضل كل جماعة إثنية سواء كان الخبز من القراصة أو الكسرة .... إلخ.

أما بالنسبة لوجبة الإفطار فيمكن تقسيمها إلى قسمين :

القسم الأول منها يكون بعد الإستيقاظ من النوم وغسل الفم وتنظيف الأسنان. وفيها يتناول الفرد القليل من البسكويت سواء المصنوع داخل المنزل أو الذى يقوم بشرائه من المحلات ، ويشرب معه كوب من الشاى المخلوط بقليل من اللبن. ويكون ذلك قبل الخروج من المنزل إلى العمل ... إلخ.

والقسم الثانى يكون بعد ذلك بحوالى ساعتين أو أكثر من الزمن ويتناولها الفرد فى معظم الأوقات مع رفقاء العمل وتكون فى الغالب من الفول وأحياناً تكون من السمك.

أما بالنسبة لوجبة العشاء فعادة ما تكون بالمساء وهى وجبة لا يحرص عليها معظم أفراد الجماعات الإثنية هناك، وذلك يعود إلى إمتلاء المعدة بالأطعمة والمشروبات منذ وجبة الغذاء. وإمتلاء المعدة بالأطعمة قبل النوم قد يصيبها بالأمراض.

ثانياً: طرق تناول الوجبات الغذائية:

تختلف طرق تناول الوجبات الغذائية بالنسبة لكل وجبة من حيث الأفراد الذين يتناولون الوجبة الغذائية معاً.

- ففى وجبة الإفطار الأولى: يتناولها الزوج والزوجة معاً فى غرفة النوم ، قبل خروج الزوج للعمل . ويتناولها الأطفال والصبية الذكور مع بعضهم العض والبنات والفتيات معاً.

- وفى وجبة الإفطار الثانية. يتناولها الفرد مع زملائه فى العمل كما أشرت سالفاً. وتتناولها النساء فى المنزل معاً. ويتناولها الأطفال والصبية والفتيات فى المدرسة التى تقدم لهم بعض المأكولات الغذائية البسيطة. وفى حالة عدم ذهاب أى منهم إلى المدرسة فيتناولها فى المنزل مع باقى أفراد الأسرة.
- وتعد وجبة الغذاء هى الوجبة الوحيدة الجامعة لمعظم أفراد الأسرة الرجال والنساء والأطفال معاً.

وفى حالة وجود أحد الضيوف يتم الفصل بين الذكور والإناث ، فإذا كان الضيف رجلاً فإنه يتناول الطعام مع الذكور فى الديوان أو المنطقة التى أمامه، وإذا كان الضيف من النساء فإنها تتناول الطعام مع باقى نساء العائلة فى القسم الخلفى للمنزل.

- ووجبة العشاء يتناولها كل فرد على حسب رغبته، فمن الممكن أن يتم تناولها بشكل جماعى ويتخلف عنها من يريد. وقد يتناولها الزوج فى غرفته مع زوجته أو بعض أبنائه . وهكذا .

ومن الجدير بالذكر أنه يوجد تشابه كبير بين كل الجماعات الإثنية في طريقة تناول الطعام، حيث يجلس الفرد على الأرض فوق "برش" ويوضع الطعام أمامه على صينية الطعام المخصصة لذلك. ويوضع الطعام فى الإناء المخصص له وهو عبارة عن طبق كبير وعميق قليلاً ،ويوضع الطعام بداخله على النحو التالى :

يوضع الخبز " قراصة – كسرة" فى الإناء أولاً، وفى حالة وضع الكسرة يلاحظ أن رقائق الكسرة تملأ الإناء والباقى منها يوضع على جوانبه. ثم يوضع الملاح فى وسط الطبق فوق الخبز.

ويتم تناول الطعام باليد اليمنى من الإناء مباشرة. وذلك بإستثناء القليل جداً من بعض الأطعمة التى قد يستخدم فيها الملعقة.

وأخيراً يعد من الأهمية بمكان التأكيد على الأتى :

- أن لكل جماعة إثنية بعض الأطعمة المفضلة لديها، لكنهم يأكلون كل أنواع الأطعمة الأخرى الموجودة لدى الجماعات الإثنية المختلفة في مدينة سنَّار.

كما أنهم على علم ومعرفة بطرق إعدادها جيداً. ويتناولوا بعضها من حين لأخر وذلك بإستثناء القليل من الطعام الذى يدخل فيه جانب التحريم عند بعضهم مثل أكل الخنزير أو شرب الخمر لدى المسلمين وهكذا .

- أن كل جماعة إثنية تكون حريصة كل الحرص على عمل أطعمة يتفق عليها معظم الجماعات الإثنية، أثناء المناسبات المختلفة مثل ولائم طعام حفلات الزواج أو السِماية أو فى حالة الجنائز. حيث يوجد بها غالبية أنواع المخبوزات تقريباً مثل القراصة والكِسرة بالإضافة إلى الخبز الذى يصنع فى الأفران المملوكة للأفراد بغرض البيع.

وتحرص القبائل على توفير تلك الأطعمة تعبيراً منها على إحترامها وتقديرها للأفراد الموجودين من الجماعات الإثنية الأخرى وإرضاءاً لما يفضلون من الأطعمة.

الهوامـش

(١) سـعاد علـى شـعبان: الثقافـة الإفريقيـة "فـى" الموسـوعة الإفريقيـة ، المجلـد الرابـع "الأنثرويولوجيا" جامعة القاهرة، مايو ١٩٩٧، ص ٢١٤

(٢) نفس المرجع ، ص ص ٢٤٦ – ٢٤٧

(3) Sidney W. Mintz & Christine M. Dubois : The anthropology of food and eating , Annual reviews of anthropology , Annual published online ,2002 , P.P. 99-119 review

(٤) سعاد على شعبان: الإنثروبولوجيا الثقافية لإفريقيا، مرجع سابق، ص ٦٦

(٥) نفس المرجع ، ص ٦٧

(٦) إشراقة عبد الله على النعيم: مرجع سابق، ص ٢٤٢

الفصل السابع

مرحلة الإنصهار الثقافى

تعد مرحلة الإنصهار الثقافى من أهم مراحل التكيف، حيث تعكس مظاهر هذه المرحلة مدى قدرة ثقافة ما على إستيعاب وصهر ثقافة أخرى. أو إنصهار الثقافتين معاً وظهور محتوى ثقافى جديد يكون عبارة عن مزيج جديد لهذا الإنصهار. ولذلك تختلف مظاهرهذه المرحلة عن مظاهرالمرحلتين السابقتين لإرتباطها الوثيق بالذاتية الإثنية لتلك الجماعة أو ذاك.

ويمكن أن نتناول مظاهر هذه المرحلة من خلال مجموعة العناصر الآتية :

- الدخول فى علاقات صداقة وجوار.
- الدخول فى علاقات زواج ومصاهرة.
- الدخول فى إنصهار لغوى.
- الدخول فى عملية تحول دينى.

ويلاحظ على هذه العناصر وجود تدرج من الأقل إلى الاعلى وفقاً لحالة التكيف الثقافى داخل مدينة سنَّار. فأبناء الجماعات الإثنية المختلفة قد يدخلوا فى علاقات صداقة تكون دافع قوى للدخول فى علاقات جوار مكانى فيما بينهم. وقد لا يقتصر الأمر على ذلك بل يمتد – فى حالة حدوث مزيد من التكيف الثقافى – للدخول فى علاقات زواج ومصاهرة. والتى تعد ركيزة أساسية وضرورية لحدوث إنصهار لغوى، بما يحتوى هذا الإنصهار من مجرد إقتباس مفردات لغوية ما إلى

درجة سيادة لغة على لغة أخرى. إلى أن تأتى عملية التحول الدينى والتى تعد قمة التكيف الثقافى. وذلك لأهمية ودور الدين فى تشكيل الهوية الإثنية لتلك الجماعات.

أولاً- علاقات الصداقة والجوار :

ويمكن تقسيم تلك العلاقات إلى قسمين هما :

(أ) علاقات الصداقة .

تمثل دراسة الصداقة جزءاً من موضوع دراسة الشبكات الإجتماعية أو التبادل الودى أو العلاقات التى ينشؤها الأفراد فى الفراغ الإجتماعى الذى تتركه أنساق العلاقات القرابية أو علاقات الإلتزام الأخرى. لذلك يتوقع أن تتطور علاقات الصداقة وتبلغ مستوى عالياً فى المجتمعات التى توجد فيها تنوع كبير من أشخاص ليسوا مصنفين كأقارب أو ليسوا داخلين فى علاقات محددة أو التزامات مع الفرد. ومع ذلك لا توجد شواهد ثقافية مقارنة عن مدى علاقات الصداقة وطبيعتها ولا على التعريفات الثقافية المختلفة للصداقة بالمقارنة بأنماط العلاقات الأخرى فى المجتمعات الصغيرة.

وللصداقة شكلان إحداهما رسمى والأخر غير رسمى. ونجد فى النمط الرسمى تحديد دقيق للحقوق والواجبات لكل عضو مثل علاقات المشاركة التجارية ذات الإلتزامات المحددة أو شكل علاقات الإشتراك فى العمل ... إلخ وذلك على خلاف النمط الثانى من الصداقة[١].

ومدينة سنَّار تحظى بكلا النوعين من الصداقات بين أبنائها. فيوجد الصداقة غير الرسمية. وتكاد تكون هى السائدة. وذلك لوجود العديد من المجالات المساعدة

على نشأتها وظهورها مثل الأعمال الحكومية أو الدراسة التى تجمع العديد من أبناء الجماعات الإثنية، بالإضافة لبعض الأعمال التجارية المختلفة نظراً لوجود أكبر سوق على مستوى ولاية سنَّار فى مدينة سنَّار.

ومن الجدير بالذكر أن هذا النمط من الصداقات يقتصر على الرجال مع بعضهم البعض، وقد يمتد للنساء المتزوجات مع بعضهن البعض والفتيات غير المتزوجات العاملات أيضاً.

وتأخذ هذه العلاقات شكل تبادل الأحاديث فى نطاق العمل وقد تمتد – فى حالة تطورها – إلى تبادل الزيارات خاصة فى المناسبات العامة من مشاركة في إحتفالات زواج أو سماية أو مشاركة فى تشييع جنائز أو زيارات للمرضى .... إلخ.

وتزداد هذه العلاقات قوة كلما كان هناك تقارب ثقافى أكبر. فأبناء القبائل العربية – فى محيط العمل الواحد على سبيل المثال – تسودهم علاقات صداقة وأبناء والجماعات الجنوبية أو غرب السودان تسودهم علاقات الصداقة بينهم وبين غيرهم من القبائل العربية. وهنا يلعب التشابه الثقافى دوراً كبيراً فى تدعيم هذه العلاقات أكثر من العلاقات القائمة بين الجماعات الإثنية التى يسودها إختلافات ثقافية كبيرة عن بعضها البعض.

(ب) علاقات الجوار :

الجار فى اللغة من الفعل جاور، وجاوره أى لاصقة فى السكن(٢).ومفهوم الجيرة فى اللغة الإنجليزية بمعنى Neighbour وهو مصطلح فى العادة يمثل منطقة أو وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزءاً فرعياً من مجتمع محلى أكبر منه ويسوده الإحساس بالوحدة والكيان المحلى إلى جانب ما تتميز به من علاقات إجتماعية مباشرة وأولية وثيقة ومستمرة نسبياً(٣).

ومدينة سنَّار كما أشرت سابقاً مقسمة لعدة أحياء . والحى عبارة عن مجموعة من المساكن المتجاورة للسكن فقط مع بعض المحلات التجارية الصغيرة ، والتى يقوم بفتحها بعض أفراد القبائل المختلفة لخدمة ساكنى الحى ..

ويلاحظ على هذه المساكن أنها لا تتم بعشوائية ، بل موجودة فى تناسق ويوجد فيما بينها شوارع رئيسية وشوارع جانبية.

ويفضل أبناء كل قبيلة التجاور فيما بينهم فى تلك المساكن، والسبب فى ذلك وجود روابط قرابية أو إنتمائية سابقة فيما بينهم ، يرغب من خلالها الفرد التجاور مع أبناء قبيلته . والسبب الأخر أنه فى بعض الأحيان يكون الفرد غير مستقر فى مسكنه ودائم التنقل والترحال بسبب العمل بالرعى أو التجارة أو بالحكومة لكن فى مكان بعيد. مما يضطره إلى التواجد بعيداً عن بيته وأسرته لفترات طويلة من الزمن، ومن ثم يرغب الفرد فى وجود أفراد أخرين مجاورين له ولعائلته من نفس القبيلة يكون دورهم الرعاية والحماية للأسرة. ومع ذلك نجد فى بعض الأحيان أن هناك بيوت بينية لقبائل أخرى موجودة بين بيوت القبيلة الواحدة .

ونتيجة لهذا الجوار المكانى فى المسكن تنشأ مجموعة من العلاقات الاجتماعية فيما بين هؤلاء الأفراد المتجاورين مع بعضهم البعض تخضع لمجموعة من القواعد والضوابط فى مدينة سنَّار والتى يطلق عليها اسم "حقوق الجار" وهى حقوق متعارف عليها غير مكتوبة تتمثل فى الآتى :

– النظر إلى الأخر على أنه إنسان بصرف النظر عن كونه من العرب أو الأفارقة، وبصرف النظر عن كونه مسلم أو مسيحى أو وثنى . ومن ثم لا يوجد تأفف أو ضيق من وجود هذا الفرد أو ذاك طالما أنه يحافظ على هذه الحقوق.

– الحفاظ على الآداب العامة سواء فى التعامل مع الأخر أو فى ممارسته بعض السلوكيات التى من شأنها الضرر لهذا الأخر. وتتحدد هذه الآداب العامة من خلال الكثرة الغالبة للأفراد المنتمين لهذه القبيلة أو ذاك. ففى الأحياء التى يغلب فيها العرب المسلمين ويوجد فيما بينهم أفراد منتمين لقبائل إفريقية تبيح شرب الخمر، نجد

أنه من الصعب أن يتناول أبناء هذه القبائل الخمر فى الشوارع أو أمام منازلهم. لأن ذلك يعد سلوك مستنكر من قبل الغالبية في هذا الحي.

– المشاركة فى المناسبات المختلفة للجيران من أفراح وأحزان وما إلى ذلك. والتى من شأنها تعميق علاقات المحبة والتقارب والقضاء على أى خلافات.

وترتيباً على ما سبق أن الخلافات الناتجة عن الجوار داخل أحياء مدينة سنَّار، خلافات صغيرة غالباً ما تكون بين الأطفال. وإذا تطور خلاف فيوجد فى كل حى "لجنة شعبية" تعمل على حل هذه الخلافات إذا طلب منها ذلك.

أما إذا كان الخلاف أكبر من أن يحل من خلال هذه الجنة فيتم اللجوء إلى المحاكم ، وهى محاكم جنائية تختص بالخلافات الجنائية مثل القتل ... إلخ ومحاكم شعبية تختص بالفصل فى المشاجرات والسرقات والسكر ... إلخ.

ومن ثم يمكن القول بأن علاقات الجوار فى مدينة سنَّار علاقات جوار مضبوطة ومقننة. مما ساعد على إحترام الأخر وساعد على قيام علاقات جوار تتسم بالمساواة والعدل. وبالتالى تقليل الخلافات والمشاحنات والصراع فيما بين هؤلاء الأفراد.

وإن كانت تزداد تلك العلاقات قوة ورسوخ بين الجيران المنتمين إلى نفس الجماعات الإثنية أو على الأقل متقاربين فى ذاتيتهم الإثنية والعكس صحيح.

ثانياً– علاقات الزواج والمصاهرة :

يُعرف الزواج بأنه إرتباط بين رجل وإمرأة ، بحيث يعترف بالأولاد الذين يولدون للمرأة كأبناء شرعيين لكل من الوالدين. والزواج يخلق علاقات اجتماعية جديدة وحقوق متبادلة بين الزوجين، وبين كل منهما وأقارب الآخر. كما يحدد حقوق أطفال ومكانتهم عندما يولدون. ولكل مجتمع إجراءات معترف بها لقيام مثل هذه العلاقات والحقوق وإعلان قيامها.

ويخلق الزواج علاقات مصاهرة بين أشخاص قد يكونوا أغراباً عن بعضهم البعض. وأحياناً قد يكون الزواج طريقة لتدعيم السلام بين جماعتين[٤].

كما يعرف الزواج بأنه مؤسسة اجتماعية أو مركب من المعايير الاجتماعية يحدد العلاقة بين رجل وامرأة ويفرض عليها نسقاً من الالتزامات والحقوق المتبادلة الضرورية لاستمرار حياة الأسرة وضمان أدائها لوظائفها.

ويتخذ الزواج فى المجتمعات الإنسانية أشكالاً وصوراً عديدة ، فقد يكون أحادياً أو تعددياً . أو يكون أموياً أو أبوياً، سواء من حيث النسب أو الإقامة. وقد يكون داخلياً يلزم الأفراد بالزواج من داخل الجماعة أو خارجياً يلزم الأفراد بالزواج من خارج الجماعة ويحرم الزواج من داخلها[٥].

والزواج فى مدينة سنَّار لابد وأن يبدأ من خلال توافر مجموعة من الشروط الضرورية على النحو التالى :

– يتم الزواج فى الغالب من داخل القبيلة. فالأفراد المنتمين مثلاً لإحدى القبائل العربية كالجعليين أو الشايقية أو التعايشة ، تفضل كل قبيلة من هذه القبائل أن تكون علاقات المصاهرة داخلية. وفى القليل منها الذى يسمح بالدخول فى علاقات مصاهرة مع إحدى القبائل العربية الأخرى التى تتفق معها فى العديد من عادات وتقاليد الزواج وما يترتب على هذه الزيجات من واجبات.

– ضرورة التقارب فيما بينهم فى القواعد المنظمة لعملية الطلاق إذا ما فشل هذا الزواج وما يترتب على هذه الزيجة التى لم تتم بعد أو تمت لكنها فشلت بعد ذلك ، من حقوق وواجبات. لذا نجد الزواج المفضل فى الغالب يكون من داخل القبيلة

الواحدة للإتفاق فيما بينهم على حقوق وواجبات كلاً من الزوجين وما يترتب على هذه الزيجات.

ووفقاً لما سبق نجد أن الزواج بين أحد الأفراد من القبائل العربية وغيره من قبائل جنوب السودان كالدينكا والنوير أو القبائل الإفريقية الأخرى التى تنتمى فى أصلها إلى غرب السودان مثل دارفور ... إلخ يكاد يكون مستحيل لأن عاداتهم وتقاليدهم مختلفة عن عادات وتقاليد العرب. فنجد العرب يرغبوا فى الزواج من القبائل المعروفة لديهم والمعروف أصولهم لكى يسهل العودة إلى كُبارئهم فى قبائلهم خاصة فى حالة حدوث خلاف أو إنفصال كالطلاق مثلاً. فمعرفة الأصول شئ ضرورى ويعد من أهم الأشياء لدى كل قبيلة.

ويمر الزواج فى مدينة سنَّار بمجموعة من المراحل تتشابه إلى حد كبير فى مظاهرها بين كل القبائل الإثنية الموجودة فى تلك المدينة يمكن توضيحها على النحو التالى :

- يبدأ الزواج بالخطوبة ، والتى تتم بعد تعارف كلا الأسرتين، ويتبادلان الزيارات فيما بينهم لتعميق هذا التعارف وتتبادل الهدايا فيما بينهم أثناء تلك الزيارات إلى أن يتم الإعلان عن يوم الخطوبة .

- وفى يوم الخطوبة يتم الإتفاق بين كلا الأسرتين على قيمة المهر وأوقات تقديمه. وأصبحت غالبية القبائل سواء العربية أو الإفريقية تقدم المهر نقدى متخلية فى ذلك عما كان يحدث فى مواطنهم الأصلية مثل قبائل الدينكا والنوير الذين كانوا يقدمون المهر بالبقر.

أما فى سنَّار فيتم دفع المهر نقدى ويقدر بمبلغ مالى محدد ويتحدد وفقاً لتعليم الفتاة فى الغالب. بحيث يكون مهر الفتاة المتعلمة أكبر إلى حد ما من الفتاة غير المتعلمة.

– بعد دفع المهر أو دفع الجزء الأكبر منه تقوم أسرة العروس بتجهيز العروس من ملابس وأدوات زينة وبعض أدوات المنزل المستخدمة فى الطهى.

– وفى نفس التوقيت يقوم العريس بتجهيز منزل الزوجية والذي يكون فى الغالب عبارة عن حجرة داخل منزل أهل العريس .

– وأخيراً يحدد يوم الزفاف والذى يعقد فيه عقد قرآن الزواج على يد مأذون فى القبائل العربية المسلمة أو يتم فى الكنيسة عند بعض القبائل المسيحية. وتقام حفلة الزواج بما تحتويه تلك الإحتفالات من مظاهر سبق إيضاحها . حيث يعتبر حفل الزواج بمثابة إعلان يعترف بمقتضاه كل من الزوج والزوجة بمكانتهم الجديدة فى المجتمع.

ثالثاً– مظهر الإنصهار اللغوى :

اللغة هى تجريد مستمد من ملاحظة السلوك الإنسانى وتحليله، والسلوك الذى تقوم بدراسته هو الكلام ، ولهذا تعرف اللغة فى بعض الأحيان بأنها طرائق الكلام الشائعة فى مجتمع ما(٦).

واللغة مصطلح يشير إلى نظام التواصل اللفظى الذى يستخدمه البشر ويتسم بأنه نظام ذو درجة عالية من التخصص والتطور المستقل، كما يتسم بأسلوب معقد فى استخدام الرمز(٧).

وتعد اللغة أساس مهم للحياة الاجتماعية أو ضرورة من أهم ضروريتها لأنها أساس لوجود التواصل فى هذه الحياة، وأساس لتوطيد سبل التعايش فيها. فهى وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأحاسيسه(٨).

واللغة هى الأداة الوحيدة للتخاطب والتفاهم، ومن ثم فهى الوسيلة الأولية فى خلق علاقات اجتماعية وإحداث قدر من التفاعل الاجتماعى بين أعضاء المجتمع الواحد. فاللغة لا تحتوى على الحروف والكلمات فقط. بل تشمل الإيماءات والإشارات، وقدر كبير من الرموز والتى تعكس فى مجملها العديد من الدلالات والمعانى المنبثقة من جوهر الثقافة التى تحتويها ، ومن ثم تلعب اللغة دوراً هاماً فى تدعيم أواصل التماسك والإرتباط بين أعضاء المجتمع الواحد(٩).

ولذلك تعد اللغة عنصراً أساسياً فى تشكيل الهوية للجماعات الإثنية. وتعد اللغة العربية هي اللغة الأولى والأساسية فى مدينة سنَّار ، فهى لغة التخاطب والتفاعل الاجتماعى فيما بين الجماعات الإثنية المتعددة فى المدينة رغم وجود العديد من اللغات الأخرى وفقاً لكل جماعة إثنية.

ولا يعنى ذلك وجود إنصهار لغوى للغات الأخرى فى بوتقة اللغة العربية. لكن كان لزاماً من وجود لغة وسيطة ومشتركة للتعامل، والتخاطب والتفاعل بين أعضاء الجماعات الإثنية. لأن اللغات المحلية لهذه الجماعات ما زالت موجودة، ويتحدث بها أعضاؤها فيما بينهم. بل إنها تعد بمثابة شفرة لا يعرفها سوى المتحدثون بها. ويظهر ذلك بوضوح خاصة فى الأجيال الأولي "جيل الأباء والأجداد" الذين قدموا إلى مدينة سنَّار من مختلف بقاع السودان سعياً للرزق أو هرباً من الحروب.

ومن الجدير بالذكر أن اللغة العربية أصبحت فى طريقها إلى الهيمنة على غالبية اللغات الأخرى الموجودة رغم أن الأخيرة محصورة داخل نطاق القبيلة الواحدة

بل والبيت الواحد. وذلك لإنتشار التعليم الذى يعتمد فى مناهجه على اللغة العربية كلغة رسمية لجمهورية السودان.

وتتجلى مظاهر هذه الهيمنة فى جيل الشباب والأطفال الذين نالوا قدراً من التعليم أو فى طريقهم لذلك وهنا تظهر أهمية الجانب الرسمى فى خلق قدر من التكيف الثقافى لهذه الجماعات الإثنية.

أما الجانب غير الرسمى فيتمثل فى الإتصال أو التفاعل الاجتماعى والتى تمثل اللغة العربية أساساً له.

ونعنى بالإتصال أو التفاعل الاجتماعى هنا جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التى تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية، وتدعو لها الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد والجماعة وتستدعى التخاطب واستخدام اللغة فى إطارها اللفظى أو الرمزى العام، كما تشمل أنواع الاتصال الاجتماعى والثقافى المباشر الذى يلتقى فيه الإنسان مع غيره وجهاً لوجه ويختلط به إختلاطاً فعلياً وحياً ويبادله الحديث أو الحوار مشافهة بالإضافة إلى الإتصال غير المباشر الذى تتم فيه المشاهدة أو يتم التخاطب من طرف واحد. ولكن عن طريق واسطة معينة مثل الراديو أو التلفاز ..... إلخ(١٠) .

وتكمن أهمية الإتصال أو التفاعل الاجتماعى فى كونه مصدر الثراء اللغوى لهذه اللغة السائدة فى الحياة اليومية لأفراد الجماعات الإثنية عموماً وللأطفال والشباب خصوصاً.

رابعاً- مظهر التحـول الدينــى :

يعد الدين من الظواهر التى يصعب وضع مدلول محدد لها، لصعوبة شمول تعريف الدين على أرقي وأدنى صورة لـه لتنطبق على كل المجتمعات الإنسانية رغم اختلاف ظروفها. كما كان لعدم الاتفاق من جانب العلماء على تحديد ماهية الدين البدائى، ومدى التفرقة بينـه وبين غيره من الأديان، أثره البالغ فى صعوبة وضع تعريف محدود للدين[١١].

وللدين أهمية كبيرة فى حياة المجتمعات الإنسانية، لما يقوم بـه من وظائف متعددة،

كالوظيفة التفسيرية، التى تتعلق بتفسير الكون وكشف بعض أسراره والوقوف على بعض الأمور التى تشغل عقل الإنسان .

والوظيفة الإخلاقية: حيث يعد الدين محركاً قوياً للسلوك بما يضعه من أسس وقواعد لهذا السلوك.

والوظيفة التكيفية: بما يتضمنه الدين من عقائد وقيم تمثل إطار مرجعى لما قد يصيبهم من صراع، حيث يخلق الدين نوعاً من المصالحة بين واقع الإنسان فى هذه الحياة، وما ينبغى أن يكون عليه هذا الواقع.

كما يؤدى الدين وظيفة الإنتماء والذاتية لمعتنقيه بما يمنحه للإنسان من شعور بالإنتماء إلى الماضى البعيد وإلى المستقبل اللامتناهى. فهو من جهة يحذر الإنسان ويمنحه أبعاداً تاريخية تكاد تكون أزلية فيشعر بأن له إرثاً كبيراً وجذوراً ضاربة فى التاريخ ، ويمنحه مجموعة من الآفاق المستقبلية التى توفر له اللامحدودية سواء فى طموحاته أو تطلعاته[١٢].

ولذلك يعد الدين ركناً أساسياً فى تشكيل وتأكيد وتأصيل الهوية الإثنية داخل المجتمعات الإنسانية.

والتحول الدينى يعنى التخلى والتخلص من كل ما يحتويه الدين من عقائد ورموز وطقوس ... إلخ وتغييره بمحتوى دينى آخر. يعنى ضمناً الإنسلاخ من المحتوى الجوهرى للهوية الإثنية للجماعة التى ينتمى إليها.

ومن ثم تأتى أهمية التحول الدينى في كونة يعنى تخلي الفرد طواعياً عن ذاتيته الإثنية وإنصهاره التام فى بوتقة إثنية جديدة.

لذا يمثل التحول الدينى قمة التكيف الثقافى لجماعة إثنية داخل جماعة إثنية أخرى، والتى يمكن القول معها بأن التكيف الثقافى لهذه الجماعة وصل إلى درجة التماثل الثقافى مع الجماعة الإثنية الأخرى.

وإذا ما نظرنا إلى مدينة سنَّار من خلال ما سبق تأصيله نلاحظ رسوخ الذاتية الإثنية فى محتواها الدينى لدى كل الجماعات الإثنية المتعددة فى المدينة خاصة القبائل التى تدين بالإسلام . كالقبائل العربية وبعض القبائل الإفريقية كالفلاتة وبعض قبائل الفور . أما بالنسبة للقبائل الجنوبية – كالدينكا والنوير – فنجد بعضاً منهم يدين بالمسيحية والبقية الباقية وثنيين . لكن قد يتحول بعضهم إلى المسيحية نظراً لما تقدمه الكنيسة – فى كثير من الأحيان – من مساعدات وخدمات لأبنائها . وفى ظل حالة الفقر والعوز الذى يعانى منه غالبيتهم.

الهوامـش

(١) شارلوت سيمور– سميث : مرجع سابق، ص ٤٦٢

(٢) المعجم الوجيز ، مرجع سابق، ص ١٢٦

(٣) سعاد بن سعيد: علاقات الجيرة فى السكنات الحضرية الجديدة. دراسة ميدانية فى المدينة الجديدة على منجلى. الوحدة الجوارية رقم ٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتورى ، قستنطينة ، الجزائر، ٢٠٠٧، ص ١٢

(٤) لوس مير : الأنثروبولوجيا الإجتماعية "ترجمة" علياء شكرى وأخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ص ١٢٢ – ١٣٠

(٥) محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص ٢٧٨ – ٢٧٩

(٦) محمد عبد الوهاب: الدين والهوية الإثنية عند قبائل الإيبو بنيجيريا . دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٥

(٧) شارلوت سيمور– سميث: مرجع سابق، ص ٥٨٧

(٨) أحمد محمد المعتوق : الحصيلة اللغوية. أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢١٢)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، أغسطس ١٩٩٦، ص ٣٠

(٩) محمد عبد الوهاب: مرجع سابق، ص ٥٦

(١٠) أحمد محمد المعتوق: مرجع سابق، ص ٧١

(١١) سامية مصطفى الخشاب: دراسات فى الاجتماع الدينى، الكتاب الأول، علم الاجتماع الدينى" ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٢١

(١٢) محمد عبد الوهاب: مرجع سابق،ص ص ٢٦ – ٢٨

المراجع العربية والأجنبية

أولاً : المراجع العربية

(١) أحمد أبو زيد: البناء الاجتماعى. مدخل لدراسة المجتمع، الجزء الثانى "الإنساق"، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ، ١٩٦٧

(٢) أحمد زكى بدوى ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، مكتبة لبنان ،بيروت ، ١٩٨٦م

(٣) أحمد عبد الله آدم: قبائل السودان .نموزج التمازج والتعايش شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ،لم يذكر مكان النشر ، ١٩٩٧

(٤) أحمد محمد المعتوق : الحصيلة اللغوية. أهميتها – مصادرها – وسائل تنميتها، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢١٢)، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، أغسطس ١٩٩٦م

(٥) إبراهيم محمد أحمد البلولة: هجرة الفلاتة الوافدة من غرب إفريقيا وأثرها على الخارطة التنموية للسودان . دراسة تطبيقية على ولاية سنار، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أفريقيا العالمية، السودان، ٢٠٠١

(٦) إسماعيل سليمان على: الزار في مجتمع الشايقية شمال السودان دراسة أنثروبولوجية ، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسة الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٢

(٧) إشراقة عبد الله على النعيم: أثر العادات الغذائية على المستوى الغذائى والصحى للأطفال. مرحلة ما قبل المدرسة. دراسة حالة. ريفى ولاية سنّار، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٦

(٨) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي: الفلاتة فى أفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية فى السودان، دار الكتاب الحديث ، الكويت، ١٩٩٤

(٩) النور عثمان أبكر: جوستاف ناختيفال وتاريخ دارفور ، الشركة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١١م

(١٠) بابكر فضل المولى حسين: مظاهر الحضارة فى دولة الفونج الإسلامية، دار السداد، الخرطوم، ٢٠٠٤م

(١١) تاج السر عثمان : لمحات من تاريخ سلطنة الفونج الاجتماعى "١٥٠٤ – ١٨٢٣" م، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان، السودان، ٢٠٠٤م

(١٢) توفيق الحسينى عبده: الأنثروبولوجيا الاجتماعية فى أفريقيا "فى" الموسوعة الإفريقية، المجلد الرابع، الأنثروبولوجيا، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، مايو ١٩٩٧م

(١٣) جعفر حامد البشير: مملكة الجعليين الكبرى. السودان فى القرية والمدينة، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ٢٠٠٤م

(١٤) رشا سعيد صبحى: أثر اللغة فى الإندماج الوطنى جنوب السودان، رسالة ماجستيرغير منشورة، ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة القاهرة، ٢٠١٢م

(١٥) سامية مصطفى الخشاب: دراسات فى الاجتماع الدينى، الكتاب الأول، علم الاجتماع الدينى" ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م

(١٦) سعاد على شعبان: الأنثرويولوجيا الثقافة لأفريقيا، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤

(١٧)------------: مربو الحيوان فى أفريقيا، نشرة البحوث والدراسات الإفريقية، العدد "٢٧"، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨٨

(١٨)-----------: الثقافة الإفريقية "فى" الموسوعة الإفريقية ، المجلد الرابع "الأنثرويولوجيا" جامعة القاهرة، مايو ١٩٩٧م

(١٩) سعاد بن سعيد: علاقات الجيرة فى السكنات الحضرية الجديدة. دراسة ميدانية فى المدينة الجديدة على منجلى. الوحدة الجوارية رقم ٦، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتورى ، قستنطينة ، الجزائر، ٢٠٠٧م

(٢٠) سليمان محمد سليمان: الدينكا والنوير، المطبعة العالمية، القاهرة، لم يذكر سنة النشر

(٢١) شارلوت سيمور – سميث: موسوعة علم الإنسان " المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية ""ترجمة" مجموعة من الأساتذة وإشراف محمد الجوهرى، المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة، ١٩٩٨

(٢٢) شوقى الجمل: تاريخ سودان وادى النيل. حضارته وعلاقته بمصر من أقدم العصور للوقت الحاضر، الجزء الأول، لم يذكر مكان النشر، القاهرة، ١٩٦٩

(٢٣) صلاح الدين على الشامى: السودان .دراسة جغرافية، منشأة المعارف للنشر، الإسكندرية، ١٩٦٤م

(٢٤) صلاح الفوال: دراسة علم الإجتماع البدوى، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة،لم يذكر سنة النشر

(٢٥) عادل حاج على : قطاع النقل بالبلاد. دور استراتيجى مهم يستوجب تسهيل حركة دون تعقيدات إجرائية

www.sudacom.net/2012

(٢٦) عادل على مصطفى : العلاقات القرابية فى أفريقيا. دراسة فى الأنثروبولوجيا الإجتماعية، "فى" الموسوعة الإفريقية ، المجلد الرابع "الأنثرويولوجيا"، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، القاهرة، ١٩٩٧م

(٢٧) عبد الغفار محمد أحمد: مدلول الثقافة وحوار الثقافات فى السودان، ورقة مقدمة لسمنار الهوية الثقافية والسياسات الثقافية فى السودان فى الفترة من ٢٠ – ٢٢ أغسطس ١٩٩١، معهد الدراسات الأفريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم، ١٩٩١م

(٢٨) عبدالمجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان منذ نشأتها إلي العصر الحديث ، ط٢ ، دار الثقافة ، لم يذكر مكان النشر ، ١٩٦٧م

(٢٩) عون الشريف قاسم: موسوعة القبائل والأنساب فى السوداء. وأشهر أسماء الأعلام والأماكن، الجزء الثالث" س.. ط، شركة أفرو قراف للطباعة، الخرطوم، ١٩٩٦م

(٣٠) على محمود إسلام الفار: الأنثروبولوجيا الاجتماعية. الدراسات الحقلية فى المجتمعات البدائية والقروية والحضرية ، ط ٥ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م

(٣١) فاروق مصطفى إسماعيل: الجماعات العرقية. دراسة فى التكيف والتمثيل الثقافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية

(٣٢) فرح عيسى محمد: التراث الشعبى لقبيلة التعايشة، سلسلة دراسات فى التراث السودانى العدد "٢٩"، معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية، جامعة الخرطوم ، ١٩٨٢

(٣٣) فرانسيس دينق: الدينكا فى السودان، "ترجمة" شمس الدين الأمين ضو البيت، مركز الدراسات السودانية، القاهرة، ٢٠٠١م

(٣٤) فضل الله أحمد عبد الله إبراهيم: مفهوم الهوية والصور الدرامية فى شعر محمد عبد الحى. دراسة خاصة فى العودة إلى سنّار، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة إفريقيا العالمية، السودان ، ٢٠٠٢م

(٣٥) قيصر موسي الزين : فترة إنتشار الإسلام والسلطنات "١٦٤١-١٨٢١" م ، مركز عمر بشير للدراسات السودانية ، جامعة أم درمان ، الخرطوم ، ١٩٩٨م

(٣٦) لوس مير : الأنثروبولوجيا الإجتماعية "ترجمة" علياء شكرى وأخرون، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م

(٣٧) محمد الجوهرى: الأنثروبولوجيا. أسس نظرية وتطبيقات عملية، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م

(٣٨) محمد السيد الهابط: التكيف والصحة النفسية، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ١٩٨٣

(٣٩) محمد السيد غلاب: البيئة والمجتمع ، دار الطالب، الإسكندرية، ١٩٥٥م

(٤٠) محمد عبد الوهاب: الدين والهوية الإثنية عند قبائل الإيبو بنيجيريا . دراسة في الأنثروبولوجيا الثقافية ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٤م

(٤١) محمد محمود الصياد & محمد عبد الغنى سعودى: السودان. دراسة فى الوضع الطبيعى والكيان البشرى والبناء الإقتصادى ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م

(٤٢) محمد عوض محمد: السودان الشمالى سكانة وقبائله، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م

(٤٣) محمد إبراهيم أبو سليم: الفور والأرض وثائق تمليك ، إصدارات مركز أبو سليم للدراسات، العدد "١٨" ، الخرطوم، ٢٠٠٦م

(٤٤) محمد السعيد محمود عبد المعاطى: أنساق التبادل عند بعض الشعوب النيلية. دراسة فى الأنثروبولوجيا الإقتصادية، رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٢م

(٤٥) محمد حافظ محمد دياب:الإتصال الثقافي بين الجماعات الإثنية . دراسة ميدانية للجالية الجزائرية في مدينة مرسيليا ،رسالة دكتوراة غير منشورة ،كلية الآداب ،جامعة القاهرة ،١٩٧٦م

(٤٦) محمد عاطف غيث:قاموس علم الاجتماع،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأسكندرية ،١٩٧٩م

(٤٧) مصطفى فهمى: التكيف النفسي، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٨م

(٤٨) موسى آدم عبد الجليل: التراث الشعبى لقبيلة الفور، سلسلة دارسات فى التراث السودانى، عدد "٢٣" معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية ، الخرطوم ، ١٩٧٧م

(٤٩) متوكل أحمد أمين: النوبة .التراث والإنسان عبر القرون، لم يذكر دار النشر أو مكان النشر أو سنة النشر

(٥٠) و. نكولتر: الشايقية. وصف لقبائل الشايقية وتاريخ مديرية دنقلة من القرن الرابع عشر إلى القرن التاسع عشر،"ترجمة" عبد المجيد عابدين، لم يذكر دار النشر، الخرطوم، ١٩٥٦

(٥١) نسيم مقار: الشايقية فى السودان .شعب وتاريخ ، شركة الإتحادى للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٩٧

(٥٢) نادية عمر: العلاقات بين الأطباء والمرضى. دراسة فى علم الاجتماع الطبى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ١٩٩٣م

(٥٣) وسام أحمد طه منصور: سكة حديد السودان، ودورها فى التطور السياسى والإقتصادى والاجتماعي منذ نشأتها ١٨٦٤م وحتي عام ١٩٥٥م ، رسالة ماجيستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ،٢٠٠٥م

المصادر

(٥٤) المعجم الوسط ، مجمع اللغة العربية ، الجزء الثاني ، ط ٣ ، ١٩٨٥م

(٥٥) المعجم الوجيز،مجمع اللغة العربية ،القاهرة ،١٩٩٢م

(٥٦) الجهاز المركزى للإحصاء، مكتب إحصاء ولاية سنّار، تقديرات سكان محلية مدينة سنار/ محافظة سنار لعام ٢٠٠٢م

(٥٧) مكتب المدير التنفيذى . محلية سنَّار، ولاية سنَّار، السودان، ٢٠٠٦م

(٥٨) مكتب المدير التنفيذى . محلية سنّار، ولاية سنّار، السودان، ٢٠٠٧م

(٥٩) مكتب إحصاء ولاية سنّار، الجهاز المركزى للإحصاء

المراجع الأجنبية

(1) Anjan Srivastava : Social anthropology , Dominant publishers and distributors , New Delhi , 2008

(2) Charlotte Seymour. Smith: Dictionary of Anthropology, G.K. Hall. Co, Boston, 1986

(3) David Adolph & Stephen Blakeway : Ethno_ Veterinary knowledge of The Dinka and Nuer in southern Sudan . a study for the Unicef December, 1996

(4) Emilio F.Moran: Human Adaptation, an introduction to ecological anthropology, West view Press, Colorado, 1982

(5) H.C. Jacksan: Tooth of Fire. Being some account of ancient kingdom of Sennar, Oxford, 1911

(6) J.A. Simpsan & E.S.C. Weiner: The Oxford English Dictionary, Vol. I, Second Edition, Clarendon Press, Oxford, 1989

(7) Marvin Harris : Cultural anthropology , Second Edition, Harper & Row publishers , New York ,1987

(8) Phylis Palgi & Henry Abramovitch : Death . across-cultural perspective , Annual review of anthropology , Annual review published online, Vol. 13 , 1984

(9) R.S.O'fahey & Jerome Tubiana : Darfur . Historical and contemporary aspects.
Http://www.sim.uib.no/darfur/A%20Darfur%20WHOS%20who3.pdf

(10)) Sondra Hale : Gender politics in Sudan . Islamism, socialism and The state , West view press ,Colorado , U.S.A. , 1997

(11) Susan M. Kenyan:Five women of Sennar. Culture and change in Central Sudan , Claren Don Press , Oxford,1991

(12)) Sidney W. Mintz & Christine M. Dubois : The anthropology of food and eating , Annual reviews of anthropology , Annual published online ,2002

(13) William Irons: Adaptation "in" Encyclopedia of Cultural Anthropology, Vol. I , 1996

(14) www.esudany.com/constituition.htmI

(15) www.ar.wikipedia.org/wiki/ التعليم

(16) www.esudany.com/constitution/الدستور السودانى

(17) www.Tawwat.com/showthread

(18) www.sudantv.net

(19) www.ar.wikipedia.org/wiki/ زراعة

(20) www.ar.wikipedia.org/wiki/تجارة

(21) www.Oxford reference.com.lib.aucegypt.edu.

(22) Http://en.wikipedia.org/wiki/Ta%E2%80%99isha_tribe

(23) Http://en.wikipedia.org/wiki/shaigiya_tribe

(24) http://ar.wikipedia.org/w/index.php?title=%D9%85%D9%84%D9%81:Sudan-adm-ru_2.png&filetimestamp=20110901014946

مما لا شك فيه أن دراسة الجماعات التى تعيش جنباً إلي جنب علي اختلاف ثقافاتها وتباينها يمكن أن يفيد إلى حد كبير في معرفة طبيعة ونوعية العلاقات السائدة بينهاوإلى أى حد حققت هذه الجماعات فيما بينها نوعاً من التكيف الثقافى ؟ مما يلقى الضوء على طبيعة ونوعية المشكلات التى تعانى منها هذه المجتمعات .

ويشير التكيف الثقافى إلى الظواهر الناتجة عن التقاء الجماعات ذات الثقافات المتباينة ، والتى تدخل فى اتصال مباشر مستمر، وما يترتب على ذلك من تغيرات فى الأنماط الثقافية السائدة لإحدى أو كل هذه الجماعات.لذا يعد التكيف الثقافى هو الغاية المنشودة لكل هذه الجماعات التى تعيش معاً .

ويتناول هذا الكتاب موضوع التكيف الثقافي في السودان من خلال دراسه التكيف الثقافي في مدينة سنارتلك المدينة التى يفوح عبق التاريخ من أراضيها . وهى إحدى المدن الشهيرة على النيل الأزرق. حيث ظلت عاصمة دولة الفونج الإسلامية فى السودان من بدايات القرن السادس عشر الميلادى وحتى نهاية القرن الثامن عشر، وذلك بالبحث في مجموعة الآليات التي تسهم مع بعضها البعض في تشكيل ذلك التكيف وما يترتب علي ذلك من تكيف ثقافي تم تحديده من خلال عدة مراحل تعكس مدي التكيف الثقافي الموجود في مدينة سنار والتي تعد سوداناً مصغراً داخل الأراضى السودانية فى تعدد جماعاتها الإثنية.حيث يوجد فى تلك المدينة أعداد ليست بالقليلة من كل القبائل السودانية.



الناشـر

